١٨٥

روايات احلام

ابتعدي عن ناري !

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

ابتعدي عن ناري!

لا ذنب لأسينا إن كان رأي غارث ستون المخرج المشهور بها سيئاً للغاية... صحيح أن تصرفها معه كان شائناً ولكنه متعجرف مغرور فلماذا تندم على شيء قالته له؟

مع هذا تذوقت مرارة الندم عندما وافق غارث على إعطائها دوراً في فيلمه، فلماذا فعل هذا؟

... كان غضبه منها يحطِّمها، وإدانته لها تمزِّقها إرباً، وصداقته الحميمة لبطلة الفيلم الفاتنة ميريام تطعنها كحد السكين... فهل يرضيه أن تكتب نهاية علاقتهماونهاية الفيلم معاً بدمها؟

www.elromancia.com

لبنان ٢٠٠٠ل.ل.	الإمارات	مصر ٤ ج.	ليبيا
سوريا ٧٥ل.س.	قطر ٦ر.	المغرب ١٥ د.	اليمن
الأردن ١ د.	البحرين ٦٠٠ف.	تونس ٢ د.	السودان
الكويت ٥٠٠ ف.	السعودية ١٠ ر.	عمان ٦٠٠ ب.	العراق

١ ـ الأمل الأخير

أخذ لويد يذرع المكان بغضب، وكأن حركته هذه قد تساعد في التخفيف من بعض التوتر العصبي الذي يحس به بوضوح.. ولكن حركته هذه لم تحقق ما ينشده.. فتوقف فجأة، ونظر بغضب إلى الفتاة النحيلة الطويلة الواقفة قرب النافذة:

ـ حباً بالله أسينا.. لا تكوني متجهمة الوجه هكذا وكأننا غريبان! يا إلهي!.. إننا متقاربان منذ بضعة أشهر!

صمت قليلاً.. ثم أردف وكأنه يريد تجربة سبيل جديد.

ـ تقولين إنّ كليكما مفلس؟

هزت الفتاة كتفيها، وكان في النظرة التي رمته بها، مزيج من مشاعر الارتباك.

ـ أنت تعرف هذا.

قالت تلك الكلمات بلهجة جافة ثم أدارت رأسها قليلاً، فالتقطت شمس الربيع الخصلات المتسللة من شعرها الأصهب فغيرت لونه وجعلته برونزياً.

أضاف لويد بإصرار:

ـ أنت بحاجة قطعاً لمن يشاركك في الشقة.

ردت بالطريقة ذاتها: وتعرف هذا أيضاً.

بدت هادئة، لكنها في الواقع، كانت تكبت أعصابها المتوترة ولكنها كانت تصبح أكثر تعباً بسبب إصرار لويد.. فمن الواضح أنه لم يكن يلاحظ

شيئاً من عذابها الداخلي . . وضع يداً على جبينه، ثم دسها في شعره الكث .

ـ يا إلهي! كيف يمكنني الوصول إليك؟ أنت باردة كثيراً . . وتكادين تدفعينني إلى الجنون . . ماذا أقول لأقنعك؟

راقبت أسينا غضبه . . فها هو جدالهما يحتد .

توقف لويد أمامها، متجهم الوجه غاضباً، ولأنه يبذل جهده ليسيطر على صوته، كانت نبرته موزونة، ومعقولة .

ـ أنت بحاجة إلى زميلة سكن . . وأنا أحبك، ولا أريد أن تعترضي على سكني هنا .

كان يكلمها وكأنها طفلة مشاغبة . . وكانت تدرك أنه بذلك يدفعها إلى الغضب، وهذا ما زادها ضعفاً . . لكنها اليوم لن تسمح له أن يثيرها، بأية طريقة .

نقلت نظرها عن وجهه الغاضب ونظرت من النافذة إلى الخارج :

ـ سبق أن قلت لك إنني غير متجهمة .

تركّزت أفكارها على لويد غريشام وإنذاره الذي وجهه إليها للتو . . تعرف أنه يعتبر الزواج أمراً رجعياً عفا عليه الزمن، لذا هو غير قادر أن يفهم سبب رفضها أن تكون عشيقته . .

ارتدت عيناها مرة أخرى إليه، تتفحصانه بتركيز هادف لم تكن تظنه ممكناً منذ أسابيع . . إنه رجل جذاب، وبينهما أشياء كثيرة مشتركة . . لكن جدالهما المستمر، بدأ يؤثر في أساس علاقتهما، ولم تعد تراه عبر منظار وردي .

قال لويد :

ـ أتساءل أحياناً عما إذا كان بالإمكان حقاً أن تكوني صادقة .

اقترب جسمه الممتلىء بالعضلات إليها وأمسك كتفيها يهزها قليلاً :

ـ تبدين لي حقيقية . . لكن، أحياناً، أسأل نفسي عما إذا كان هناك داخل هذه الواجهة الخارجية شيء غير الثلج .

ارتدّ عنها بطريقة توحي بمدى التوتر الذي يشعر به .

ـ أنت على استعداد دائم للكلام عن مشاعرك . . لكن، حينما يصل الأمر للقيام بشيء ما بهذا الخصوص ينقلب أمرك وتصبحين باردة . . من يراك يظنك امرأة من نار . . ولكنني بدأت أؤمن أن الثلج يلفّك من الداخل .

صمت ينظر إلى عينيها وكأنهما سيعطيانه لمحة عن أفكارها . .

ـ ألا تهتمين بي أبداً . . ؟ هل كان كل شيء ادعاء؟

احتجت أسينا : «لا . . تعرف أن هذا غير صحيح . . أنا مولعة بك كثيراً» .

لم تكن ابتسامته لطيفة، ولأنها لم تكن ترغب أن يكرر اللعنة التي أطلقها من بين أنفاسه، ندمت على الكلمات حالما قالتها . . فقد عرفت أنه يريد منها أن تقول إنها مجنونة بحبه . . لكن هذا مستحيل . ولو قالتها فلن تعنيها . . في الواقع أدركت وهي تتكلم معه، أنها لم تكن يوماً مجنونة بحبه كما كانت تعتقد . . وأن كل شيء كان مجرد افتتان وانتهى . لكن وهي تنظر إلى وجهه الآن، عرفت أنها لن تستطيع أن تقول له الحقيقة . . ليس اليوم على أي حال .

رفعت يديها بحركة توسل : «لويد . . سبق أن كررنا هذا من قبل . . »

ـ لا . . أقسم أن لا .

دون إنذار، تقدم إلى الأمام وراحت أصابعه تحفر لحم كتفيها الرقيقتين :

ـ أنا مجنون بك أسينا . . لكنني لن أنتظر إلى الأبد، فهذا ما أريد .

شد جسمها المقاوم إليه، دون بطء أو حنان ولكنها انتزعت نفسها منه :

ـ لا تفعل هذا!

وتصاعد غضبها الذي أصبح يضاهي غضبه بسبب تهجمه وعنفه معها . . كانت تحاول الخلاص منه بخفة ولطف، ولكنه لم يكن يعبأ بمشاعرها .

أضافت بأنفاس متقطعة :

ـ لا تفعل هذا مرة أخرى . . بدأت أؤمن أننا ارتكبنا غلطة . . لا أظنك تحاول أن تفهم وجهة نظري .

ـ وأنت كذلك لا تحاولين فهم وجهات نظري .

احمرت عينا أسينا غضباً:

ـ يبدو أنك لا تهتم بغير التجاذب الجسدي.. وبدأت أعتقد أن هذا كل ما تطلبه مني.

ـ يا إلهي!.. أيتها الباردة!.

أطبق شفتيه، ثم هز رأسه وكأنه لا يصدق ما يسمعه من نفسه:

ـ نحن معاً منذ أشهر، ولم أصل معك إلى شيء.. فلو كانت الرغبة هي الأساس، أكنت تظنين أنني سأستمر معك؟ لو كانت الرغبة هي ما تدفعني إليك لرحلت منذ زمن.. لكنني أضيع أنفاسي.. أليس كذلك؟

التقط سترته، ودس ذراعيه في كميها بعنف لا ضرورة له:

ـ انضجي أسينا! أنت تعيشين في الماضي! أفكارك خرجت عن إطار العصر.. ومن الأفضل لك أن تعودي إلى الواقع بسرعة قبل أن تجدي أن حياتك مضت تماماً.. ستكونين عجوزاً رمادية الشعر عندما تفيقين وتجدين أنك لم تعيشي حياتك.

توقف، ويده على أكرة الباب:

ـ اتصلي بي عندما تتعبين من الحياة في برجك العاجي.. وسأكون سعيداً بمساعدتك في العودة إلى الجنس البشري.

أجفلت بقوة لأنه صفق الباب الخارجي خلفه بعنف.. ولكنها تنهدت تنهيدة راحة ممزوجة مع شيء من الندم.. ووقفت للحظة على النافذة تراقب جسمه الممتلىء يبتعد في الشارع.. علمت منذ وقت، أن علاقتهما سرعان ما تنتهي.. مع ذلك ترك رحيله فجوة في قلبها.. فقد كانا صديقين لأمد طويل، ولسوف تفتقده كثيراً.. في هذه اللحظات شعرت بالكآبة تسيطر عليها ولكنها تنهدت بنفاد صبر، وأنزلت الستائر وابتعدت نحو جهاز الستريو في الزاوية.

تعرف أن لا جدوى من الكآبة.. لفترة قصيرة، تصورت أنها تحبه.. لكن كل شيء انتهى الآن. ركعت قرب الجهاز، تبحث بسرعة في أسماء الاسطوانات.. كان لزميلة سكنها، روان، مجموعة ضخمة من التسجيلات،

وسرعان ما كانت موسيقى الديسكو تصدح بالغرفة حيث وقفت أسينا على قدميها ترقص بتناغم مع اللحن والواقع أنها كانت غارقة مع اللحن. بحيث لم تسمع أن الباب الخارجي انفتح وانغلق.. وعندما انتهت الاسطوانة، أدارت رأسها فرأت روان تقف في الباب تراقبها، وعلى وجهها الجميل التسلية والحب.

ـ لا تقولي لي شيئاً أسينا.. سأحزر بنفسي.. لقد عرض عليك دور رئيسي في الكوميديا التي كنت تجربن تجربة عليها هذا الصباح.

ابتسمت روان التي بدأت تخلع سترتها الزرقاء، ورمتها دونما اكتراث على ظهر كرسي.

ـ الطقس بارد في الخارج.

وارتجفت، ثم ركعت قرب مدفأة الغاز، لتزيد من ضغط نارها:

ـ حبيبتي.. هل حصلت على الدور أم ما زال علينا الوقوف في صف طالبي الطعام؟

هزت أسينا كتفيها، وتقدمت لترمي نفسها برشاقة أمام المدفأة.. لقد طغى شجارها مع لويد على مشاكلها الأخرى، لكن هذه المشاكل عادت تطفو بسرعة.

ردت عابسة وآسفة: «أجل.. وأجل حقاً».

ـ استرخي هذا لن يكون الأجر سيئاً إلى حد الرفض.

ـ بل أسوأ من هذا.. أخشى أننا ما زلنا مفلستين. لقد رفضت الدور.. ولكنني سأندم فيما بعد.. إنما المال قليل، والدور صغير، هذا دون ذكر واقع أنه يشمل كل المشاحنات.. ثم هناك فيلم «زوجة بائع الخردة» الذي سيجيء موعده قريباً.. ربما أنا متفائلة كثيراً.. لكنني قد أحصل على دور صغير في الفيلم، وسيكون الأجر أفضل بكثير.

لم تعرف إن كان أمل روان قد خاب لأنها لم تظهر شيئاً من هذا.

ـ لا تكوني على هذه الدرجة من القلق حبيبي، واثقة أنك اتخذت القرار الصائب.. لكن المسألة أننا ماذا سنفعل لنعيل أنفسنا فيما تبقى من الأسبوع؟

www.elromancia.com

ـ ذهبت وأحضرت تعويض البطالة هذا الصباح.

كشرت روان وجهها:

ـ هذا أفضل من لا شيء.. فأنت على الأقل جنيت بعض المال في الأسابيع الثلاثة الماضية.. أما أنا فلم يعرض علي سوى دورين لعارضة في شهرين. كان غباء مني أن أتخلى عن عمل ثابت في سبيل هذه المهنة غير الثابتة.

ـ ثلاثة أشهر لا شيء في سبيل الاستقرار في هذه المهنة.

تنهدت أسينا التي كانت تشعر بالذنب.. فروان تلوم نفسها على الصعوبات التي تواجهانها.. مع أنه سنحت لها فرصتين اليوم لتحسين وضعهما، ورفضتهما.. قالت تعترف:

ـ كان لويد هنا.. وكان يهدف إلى مشاركتنا الشقة مرة أخرى.

ـ ولا ينوي النوم في الغرفة الفارغة، على ما أظن؟

تأوهت أسينا: «أنت على حق.. لكنني بدأت أتساءل، عما إذا كان عليّ أن أقبل عرضه أم لا.. لقد تشاجرنا شجاراً عنيفاً.. ولكن لو قلت له إنني سأعيد التفكير في الأمر لعاد».

صدمت روان قليلاً:

ـ لا تضحي بنفسك من أجلي حبيبتي! تعرفين أنه لم يكن يوماً مخلوقي المفضل. وأعتقد أنه ما إن ينتقل إلى هنا، حتى يتعلق بك ويصبح كاللصوق.

نظرت إلى صديقتها نظرة ماكرة:

ـ لا تظني أبداً أنك قادرة على إبعاده عنك بغرفة خاصة به.. بصراحة.. يدهشني أنك تمكنت من إبقائه على بُعد ذراع منك، لهذه المدة الطويلة.. لا بد أنه مجنون بك.

ـ أعتقد أنك محقة.. لقد مرحنا معاً.. وهو لطيف جداً، ومهتم!.. ربما لم أكن متجاوبة معه، كما يجب.

عارضتها روان فوراً:

ـ هراء! ما كان ليبقى طويلاً هكذا إذا كان هذا هو الحال.

رأت أن أسينا غير سعيدة، فدفعت نفسها لتقف، تتعمد تغيير الموضوع:

ـ ما رأيك ببعض القهوة؟ أنا بحاجة إلى ما يدفئني.. تعالي إلى المطبخ، وحدثيني بينما أملأ الإبريق ماءً وأضعه على النار.

لحقت أسينا بروان طوعاً، وهناك في المطبخ جلست على أحد المقاعد المرتفعة قرب رف العمل الملحق بالمغسلة.. كانت الشقة صغيرة، فيها غرفتا نوم، وغرفة جلوس، ومطبخ صغير وحمام أصغر.. وتقع في منطقة غير حديثة من لندن، ومع أنها شقة مزرية كان الإيجار يستنزف جزءاً كبيراً من راتبهما.. هذا إن كان لهما راتب.. ولكنهما رغم كل شيء يعتبرانها بيتهما.. وذلك منذ تزوجت أم أسينا مرة أخرى، ورحلت لتعيش في أميركا.. لقد أحبت أسينا زوج أمها، لكنها لم تقبل بأن ترافقهما. بل صممت على متابعة دروسها في كلية التمثيل.. ومع أن أمها حاولت إقناعها لتغير رأيها، فقد رضخت في النهاية لقرار ابنتها عن طيب خاطر.

من خلال زوج أمها، التقت بروان.. كان صديقان قديمان لأبويها، قد سمعا أن أسينا تبحث عن شقة، فاقترحا أن تضم جهودها إلى جهد ابنتهما.. في البداية ترددت أسينا.. لكنها الآن لن تغير رأيها أبداً.. وجالت عيناها بجمال صديقتها الأشقر الهادىء بمحبة.. إنها صديقة جيدة مخلصة.. ومنذ تشاركا بهذه الشقة وهما على وفاق معاً.

ارتدت روان إليها:

ـ لا تظهري هذا القلق أسينا، وتوقفي عن لوم نفسك. فواثقة أنك اتخذت القرار المناسب اليوم.. من الغباء أن تقبلي بمثل هذا العمل الوضيع الأجر.. فقد تجاوزت مرحلة القبول بالعمل لمجرد الخبرة.

ـ لكنني لم أتجاوز مرحلة القبول بالعمل لآكل.

عبست روان التي قدمت لها كوب القهوة. ثم شدت كرسياً مرتفعاً ورفعت نفسها عليه، تواجه أسينا:

ـ لا تكوني حمقاء حبيبتي.. وتوقفي عن الغليان.. اشربي قهوتك، وحدثيني عن الفيلم الذي ستتقدمين إليه.. سيكون ذلك يوم الجمعة، أليس كذلك؟

ـ أجل.. في العاشرة.. وأنا متوترة كالعادة.. لكن لن يطول بي الانتظار. ولقد وعدني برايان أن يقلني لأصل هناك دون متاعب.

زوجة برايان، پام، هي إحدى أقدم صديقات أسينا.. ولقد كانتا في المدرسة معاً، وبقيتا على اتصال دائم، حتى بعدما اتجهت أسينا إلى كلية التمثيل.. وكان برايان في الشقة ذات أمسية، حين دخلت پام وما هو إلا شهران، حتى تزوجا..

كانت روان تتكلم عن الفيلم، فأجبرت أسينا نفسها على التركيز على ما تقول:

ـ هل ستتقدّم الكثيرات لهذا العمل؟

ـ آه!.. حوالى خمسمئة فتاة.. على ما أظن.

ضحكت روان وهزت رأسها:

ـ صدقاً أسينا.. سيكون حظك كحظ الأخريات.. لكن لديك مواهب كبيرة.. فلا تنسي هذا، فأنت تبدين.. ما هي الكلمة التي أبحث عنها؟

ضحكت أسينا غصباً:

ـ لا أدري.. لكن لدي إحساس بغيض أنني سأسمعها في أية لحظة الآن.

تبدل تعبير وجه روان إلى المزاح:

ـ مثيرة.. هذه هي الكلمة.

كشفت قسمات وجه أسينا عن أفكارها بوضوح، فضحكت روان مجدداً:

ـ سيساعدك المظهر الجذاب، بكل تأكيد؟

حركت أسينا كتفيها:

ـ ربما.. لكن معظم المخرجين، يبحثون عن أكثر من هذا، ومن لا يبحث.. أنا لست مستعدة لمثل هذا النوع من التعقيدات.

تريد أسينا أن تنجح إنما تريد أن تنجح من خلال جهدها الخاص.. وليس لأن مخرجاً قذراً أراد أن يذهب معها إلى الفراش.. فمجرد التفكير في أمر كهذا يبعث القرف إلى نفسها.. هذا النوع من الحياة مدمر. صحيح أن

وهج النجومية قوي، ولكنه ليس كافياً لتتخلى عن مبادئها.

كانت روان تراقب وجه أسينا المعبّر، وفي عينيها ابتسامة..

قالت: «بعض هؤلاء المخرجون الشبان.. مثيرون».

ـ من يحتاج إلى استخدام هذا الأسلوب لا يندرج تحت مواصفات الشباب المثيرين..

ـ لكن مخرج هذا الفيلم هو غارث ستون.. أليس كذلك؟ رأيته على التلفزيون مرة وهو أسود الشعر، أسمر الوجه، رائع العينين.. إنه وسيم!

جاء دور أسينا لتضحك.

ـ لا أعرف الرجل كثيراً.. لكن لديه بكل تأكيد القدرة على اختيار قصص أفلامه.. ففي هذه القصة كل شيء، المغامرة والحب والعنف وسمي ما شئت.

رفعت روان حاجبيها بأناقة: «والعلاقات الغرامية؟»

ـ وهذه أيضاً.. تدور أحداث القصة في كرونويل في أواخر القرن السابع عشر.. وتشمل قرية كاملة يعمل أهلها في الاستيلاء على السفن المارة وتحطيمها بغية سلبها. ومعظم أحداثها تتناول واقع أن هؤلاء المدمرين كانوا يقتلون الناجين من السفن الغارقة، ليمحوا أثر فعلهم.

ـ قصة ساحرة!

ـ بل هي غارقة بالدماء.. على أي حال، في القصة فتاة فرنسية شابة، تصل إلى الشاطىء ويسمح لها أن تعيش على يد الشاب الذي يجدها ويقع في حبها وتصبح في النهاية العروس التي يشير إليها عنوان الفيلم.. سيشارك بالتمثيل عدد من المشاهير.. هناك بيتر كويهام بدور قائد القراصنة وميريام سينكلير التي تقع في حبه.. فلندعُ الله فقط أن يكون المخرج كثير التأثر بالعيون الخضراء وبالشعر الأصهب.

ـ أنا أدعو الله أسينا.. صدقيني.. لقد حان وقت حصولك على فرصتك للنجاح.. الله يعرف أنك عملت جاهدة.

أطفأت أسينا جهاز الستيريو وجلست على كعبيها متنهدة.. لم تستطع إلا

www.elromancia.com

أن تستمع مرة أخرى إلى الأصوات المسجلة بلهجة أهل كرونويل الثقيلة.. تعرف أنها دفعت روان إلى الجنون في الأيام القليلة الماضية لكثرة ما شغّلت المسجلة في كل فرصة سانحة.. لكنها على الأقل، أصبحت راضية عن نفسها لأنها باتت قادرة على تقليد اللكنة.

إنها اليوم بمفردها في الشقّة فروان حصلت على عمل في مؤسسة صناعة ملابس محبوكة، واضطرت للذهاب إلى الاستديو منذ الثامنة والنصف صباحاً. ولكن أسينا مسرورة من أجلها مع أنها كانت تحب لو كانت برفقتها هذا الصباح.. تنهدت مرة أخرى، ونحّت المسجلة جانباً.. فمن حسن الحظ أن برايان قادم ليأخذها. فرفقته دون شك ستهدئها قليلاً.

نظرت إلى ساعتها، وشهقت قليلاً فقريباً يصل برايان، وهي لم تستعد بعد. أسرعت إلى غرفة النوم، حيث وقفت قليلاً قرب المرآة على طاولة الزينة.. رأت أمامها فتاة طويلة ترتدي سروالاً عاجياً فوقه بلوزة حريرية بلون الفريز.. بدت صورتها جذابة، ولكن مزاجها لم يساعدها لإبداء الإعجاب بنفسها.. كانت بشرتها نابضة بالحياة، وجسمها كامل.. العينان الخضراوان الكبيرتان، تنظران إليها من المرآة، وكأنهما تعدان بشيء أبعد كثيراً من أن تحققه.

كانت تتأمل نفسها في المرآة حين سمعت زمور سيارة.. فصاحت بحفلة، وأسرعت إلى غرفة الجلوس تفتح النافذة، فتطاير شعرها حول وجهها كغلالة حريرية. كان برايان قد أنزل غطاء سيارته القديمة المكشوفة.. تأوهت في أعماقها.. فمن المؤكد أنها لن تقدر على المحافظة على ترتيبها.. رفع برايان رأسه مبتسماً لها:

ـ لن أتأخر أكثر من دقيقة.

ولوّح لها قبل أن تغلق النافذة.. كان معطفها في غرفة النوم فأسرعت تحضره، ثم خرجت بسرعة تدس المفتاح في حقيبة كتفها قبل أن تنزل السلم إلى الطابق الأرضي.

وصلا إلى مكان الاختبار قبل وقت من الموعد، لكن القاعة الكبيرة كانت

مزدحمة ازدحاماً كبيراً فعندما دخلت ورأت ما رأته نظرت إلى حولها بعدم تصديق.. فهي كانت واثقة أن هناك ما لا يقل عن خمسين شخصاً، في هذه اللحظة بالذات انحطت معنوياتها وتجهّم وجهها.

تمتم برايان في أذنها:

ـ ارفعي ذقنك.. كان بالإمكان أن يكون الموقف أكثر سوءاً.

ـ أتراهن؟

نظرت حولها مجدداً وقسماتها تعبر عن عدم تصديقها:

ـ لا أرى كيف يمكن أن يحشروا أشخاصاً آخرين في هذه الغرفة.. وقد نموت جميعاً اختناقاً كما هو الحال.. ربما هي فكرة جديدة لتخفيض التزايد السكاني في المدينة.

نظرت العينان الخضراوان إلى برايان:

ـ من أين أتوا جميعاً، بحق الله..؟ لم أكن أعرف بوجود هذا الكم من الممثلين في البلاد.

ـ لن يضيع عليك شيء.. سمعت أن الاختبار سيستمر حتى ساعة متأخرة، ونصف هذا الحشد سيجرّب حظه بالرقص.. ففي بداية الفيلم حفلة راقصة.

ـ هذا يجعل النسبة وظيفة لكل ثلاثين مرشحاً.

ـ اذهبي واخلعي معطفك أسينا، ولنسجل اسمينا في اللائحة.. قد يطلبون منا العودة بعد الظهر.

رفعت أسينا عينيها نحو السماء:

ـ ولماذا؟ إنهم لا يدفعون لنا..

ثم ضحكت: «آسفة برايان! أنت على حق.. أنا أتوتر دوماً قبل الإقدام على مثل هذه المهمات، لذا أصبح سيئة الطباع».

ـ اهدئي إذن.. ما إن يراك المخرج حتى يقرّ رأيه.. صدقيني.

نظرت إليه نظرة تزمت:

ـ ليت الأمر بهذه السهولة.. أما زال في هذا العالم مخرجون يمكن التأثير

فيهم؟ حسب تجربتي. . لقد شاهدوا كل شيء.

ـ لكنهم لن يستطيعوا عدم التأثر إذا ما رأوا عرضاً. . هيا أسينا اخلعي معطفك ودعينا على الأقل نبدو جادين.

فتشت أسينا في الغرفة المزدحمة بعد عودتها فوجدت بعض الوجوه المألوفة. . كانوا دائماً يتواجدون في الاختبارات ذاتها. . وأحست بالكآبة حقاً وهي تفكر بالموقف. . هل ستقوم بالشيء عينه بعد عشر سنوات، هل سيكون لزاماً عليها البحث عن دور صغير؟ ثم رأت برايان. . كان يقف حيث تركته. . وغار قلبها حين رأت إلى جانبه وجه لويد غرايشام المألوف. . ألن تستطيع تجنبه أبداً؟

تقدم إلى الأمام ليلقاها:

ـ أسينا. . حبيبتي. . ما أروع أن أراك.

أمسك بكتفيها وعانقها، ثم تراجع لينظر إليها:

ـ تبدين جميلة كحالك دوماً.

ـ شكراً لك.

الواضح أنه لم يدرك بعد أن علاقتهما انتهت. والوقت الآن غير مناسب للشرح.

سألت: «هل مضى عليك وقت طويل هنا؟ أنا وبرايان وصلنا قبل دقائق».

قطب لويد وقد أحس بالتحفظ في تصرفها:

ـ منذ نصف ساعة. . ما الأمر أسينا؟ أنت صامتة. أما زلت غاضبة مني؟

هذه هي اللحظة المناسبة. . وسحبت نفساً عميقاً.

لكن برايان تدخل:

ـ لم يخبرك لويد بالخبر السعيد؟

خجلت أسينا من تدخل برايان المرح، فارتدت إليه بلهفة لم تستطع كبتها:

ـ لا. . ماذا؟

ـ كان لويد يصغي هنا وهناك. يبدو أن الراقصين والمغنين سينتقلون إلى مكان آخر، يا للمساكين!

لكن تدخل برايان لم يعجب لويد الذي أظهرت كلماته استياءه.

ـ تدبر المخرج أمر سيارتين لنقلهم، وكلما كان هذا أسرع كان أفضل. . فلقد سئمت من البقاء لساعات في كل تجربة، ولقد آن لهم أن يعاملونا كبشر، لا كقطيع غنم. . يجب أن نجتمع لنفعل شيئاً بهذا الصدد. . نصف من يعمل في شركات الأفلام بحاجة إلى من يرشدهم.

تبادل برايان النظرات مع أسينا. . لويد معروف بتطرف أفكاره. . سبق أن رأت أسينا رجلين يقفان بالباب لحظة دخلت. . بطريقة ما لم يبدوا متفائلين بالعمل. . وأدركت أنهما مهتمان لحديث لويد.

خاطرت بإلقاء نظرة أخرى ناحيتهما فوجدت أن عيني أ

تنظران إليهما. . فأدارت وجهها فوراً، وشعرت بضعف

طويلاً أسود الشعر، قسماته غير وسيمة بشكل تقليدي، لكنه يجتذب الانتباه في أي تجمع. . وكان يقف وقفة تعجرف. . تأمله مجدداً. . لا شك في هذا ما زال ينظر إليها. . فارتجفت فجأة، وأخفت نظرها. . سبق أن عرّتها عيون الرجال وطالما كرهت مثل هذه النظرات، لكن نظرة هذا الرجل مختلفة كلياً. . فقد أحست وكأنها عاجزة، لا دفاعات لها.

سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً. . تريد أن تهرب. . وكان هذا ما فعلته. . فقد اندفعت في الغرفة المكتظة، لا تنظر يميناً ولا يساراً، ولا تعي احتجاج لويد. . فلم تكن تريد سوى وضع أكبر مسافة بينها وبين الرجل، وبينها وبين عينيه الزرقاوين الباردتين. . كلما فكرت فيه، كلما زاد غضبها. . كيف يجرؤ على النظر إليها هكذا!

لحق بها لويد وبرايان، وكانا عند الباب قبل أن تصله. .

سألها برايان متسلياً: «هل شاهدت صاحبة منزلك هناك؟ لم أكن أدرك أنك يائسة هكذا لدفع الإيجار».

ضحكت: «سخيف! في الباب رجل كان يصغي إلى كل كلمة يقولها

لويد . . وأنا واثقة أنه يعمل لشركة الأفلام».

قال لويد بسرعة: «وإن يكن؟ لقد عنيت كل كلمة قلتها!»

انتقدته قائلة: «أعرف أنك فعلت . . لكن الوقت غير مناسب للاعتراض خاصة إذا كنت تريد دوراً في الفيلم».

كانت هي وبرايان في أسفل لائحة المتقدمين، لأنهما وصلا متأخرين . . والأمر الوحيد الذي يسرّها أن لويد سيجري الاختبار قبلهما. وأملت بيأس أن يذهب من هنا ما إن ينتهي من تقديم اختباره . . لأنه فعلاً يُشعرها بالإحباط.

ـ . . هذا أمر مخزٍ فعلاً.

سمعت آخر كلمات حديث لويد، وأغمضت عينيها شفقة على برايان . . لا بد أنه يشعر بالسأم إلى حد البكاء . . نظرت إليه، فإذا به يخفي ضجره . . كان يعرف أنها ولويد صديقان منذ أيام الدراسة وهو معتاد على نوبات غضب لويد.

لكن نداء اسم آخر في المذياع لفت انتباه أسينا، وأخذت تراقب فتاة سمراء طويلة تبرز من بين الجميع، وتسير نحو الباب في زاوية القاعة . . كانت جميلة هادئة متمالكة لنفسها، وتمنت أسينا لو تمتلك نصف ثقة الفتاة بنفسها.

وحاولت أسينا تهدئة نفسها فالاختبار سيجري في غرفة صغيرة وهذا يعني أنها لن تقف أمام جمهور كبير . . وهناك عشر مراكز أنثوية في الفيلم . . لذا لا بد أن يكون لها فرصة . . بعد قليل سمعتهم ينادون باسم لويد فتمنت له الحظ . . وبدا المكان هادئاً بعد أن ذهب . . لكن جسمه القوي، عاد إلى الظهور في الباب، قبل أن تتوقع أسينا أن تراه. ولم يبدُ مسروراً.

رمى نفسه على المقعد إلى جانبها:

ـ لا شيء مفرح . . كان هناك ثلاثة رجال راح يتكلمون فيما بينهم، ولم يبدُ أنهم سمعوني.

لم تستطع أسينا أن تلومه لغضبه، وأخذت تلوك شفتها . . لقد كانت قلقة . . وها هي تجربة لويد أشبه بالقشة التي قسمت ظهر البعير. كانت

الأجساد الحارة العرقة حولها تجعل رأسها يدور . . ودفعت نفسها لتقف مرتجفة . . فارتدت رأس برايان إليها، ووقف بدوره، يمسك ذراعها ليدعمها على الفور:

ـ يا إلهي أسينا! . . تبدين بحالة رهيبة!

ـ شكراً لك! لا تقلق . . إنه مجرد خوف سخيف من خشبة المسرح، كالعادة.

ـ هل تريدين أن أجلب لك شيئاً من القهوة؟

ـ لا . . أحتاج فقط إلى هواء نقي، المكان عابق كثيراً.

ـ سأخرج معك . . المكان خانق هنا، ولن يضرني أن أمدد ساقيّ.

قال لويد: «سأخرج الآن حالاً . . وسأرافقها».

قال برايان بمرح: «سنذهب جميعاً».

قال لويد: «لا داعي . . سأهتم بها».

الواضح أنه يرغب في الانفراد بها، ولكنها لا تستطيع تحمل هذا . . خاصة اليوم.

ارتدّت إليه يائسة: «هذا لطف منك . . ولكن أفضّل حقاً ألاّ تزعج نفسك، سأكون على ما يرام . . وسيفيدني أكثر أن أكون بمفردي قليلاً».

ابتسم لها دونما حماس:

ـ لا تحتجي كثيراً . . أنا قادم معك.

كان يرتدي معطفه الواقي من المطر وهو يتكلم. وكانت أسينا متأكدة أنه لم يصغ إلى أية كلمة قالتها . . إنه يريد الخروج معها . . وانتهى الأمر . . يا له من قذر متعنت! ولكنها تجنبت الشجار معه في مثل هذا المكان المحتشد بالناس لذا حركت كتفيها بحركة غامضة، وتمتمت:

ـ حسناً . . إذا أردت المجيء.

وتركت الجملة عند هذا، فهي ترتجف ارتجافاً يمنعها من الانخراط معه في جدال عقيم.

ارتدت إلى برايان وقالت له:

ـ لن أتأخر كثيراً.

هز رأسه مشفقاً: «اعتني بنفسك».

سبق أن قالت له إنها ولويد تشاجرا، ولا بد أنه عرف بما تشعر به.. ولكن ليس بيده حيلة.. وعندما أمسك لويد ذراعها لتلحق به سمحت له بذلك بكل خنوع.

***

٢ ـ الغضب أو الدموع

كان الرجلان اللذان أزعج وجودهما أسينا عند الباب، قد اختفيا.. فتنفست الصعداء لأنها لا تريد أن تخرج أمام نظراتهما الباردة، خاصة وأصابع لويد تمسك مرفقها بتملك.. إنه يجعل من المستحيل عليها أن تتهرب، وهي التي تتطلع شوقاً لفترة تأمل هادئة.

كانت مستغرقة في أفكارها بحيث بلغا الممر قبل أن تعي هذا.. لكنها كانت تدرك أن الموقف سيكون أصعب مما توقعت.

صاحت: «قلت لك أريد بعض الهواء النقي.. وهذا ليس الطريق إلى خارج المبنى».

ـ أريد أن أتحدث إليك أسينا.. حديثاً لن يطول كثيراً.

وتابع حثها على السير معه.. لكنها لم تكن تريد الذهاب معه.. إنه حيوان مغرور، فهو لم يسألها شيئاً عن رأيها أو عن مشاعرها.. ولن يهتم دون شك حتى لو وقعت مغشياً عليها وسط الممر، فهو على الأرجح سيجرها معه من قدميها لو لزم الأمر، وينتظر أن تستفيق حتى يقول لها ما يريد.. الصورة التي طالعتها في هذه اللحظات دفعتها للضحك.. ولكن ليس هناك أي أمل ولو صغير أن يغمى عليها.. تعمدت تخفيف سرعتها كي يضطر إلى تخفيف سيره.

قالت بإصرار: «أريد العودة، أشعر بتحسن كبير».

ابتسم محاولاً إقناعها:

ـ لن يطول حديثنا.. كنت أفكر أن نجد غرفة فارغة في مكان لنتمكن من

www.elromancia.com

الجلوس والاسترخاء لبضع دقائق.

ردت بهدوء: «أفضل أن أعود إلى القاعة».

ـ لا داعي لهذا.

ودفع باباً وأدارها بطريقة ساحر يخرج أرنباً من قبعته.

أردف: «يمكننا الدخول إلى هنا».

ارتدت تواجهه:

ـ لا يعجبني هذا.. بل علينا ألا ندخل. فنحن نقتحم مكاناً لا يحق لنا أن ندخله.. كما أنه لا يجوز لنا أن ندور في المبنى هكذا.

ـ لا تكوني كالأرنب المذعور.. لن يدخل أحد إلى هنا.. حتى ولو دخل أحد.. ماذا يعني؟ أشك في وجود شيء ما يستحق السرقة في المبنى كله.

لكن أسينا ترددت في الباب: «لا يعجبني هذا».

لم تكن تخشى التطفل فحسب لأنها أساساً لا تريد أن تكون بمفردها معه. قالت وهي تتنهد:

ـ من غير اللائق أن نقفل الباب علينا هنا. يمكننا العودة والوقوف خارج القاعة، فهناك يمكنك مكالمتي لأنه لن يسمعنا أحد.. ماذا لو نودي على اسمي لتقديم الاختبار؟ لن يجدني برايان هنا.

ـ لن يصل دورك قبل وقت.. ويجب أن أكلمك.. فأنا لا أستطيع الاستمرار هكذا لفترة أطول.

امتدت يده لتمسك أصابعها الباردة، وحثها على الدخول، فأطاعته عاجزة. عندما أقفل الباب خلفهما، ألقت نظرة إلى ما حولها ففار قلبها، كان هناك أكوام من المعاطف والسترات على طاولة قديمة تقبع في وسط الغرفة.. فارتدت إلى لويد، والتوتر يطغى على حدّة صوتها:

ـ ما كان يجب أبداً أن ندخل إلى هنا، فهم يستخدمون الغرفة كغرفة ملابس.. لو دخل أحد إلى هنا لظن أننا نعبث بالجيوب.

ضحك لويد بطريقة وتّرت أعصاب أسينا:

ـ يا إلهي! الفتاة تفتعل ضجة بسبب كومة ثياب عتيقة، وأنا أحاول أن

أقول لها إنني أحبها.

أحنى رأسه، ورفع أصابعها إلى شفتيه يقبلهما بشغف.

حتى لو كانت تبادله الحب، فاللحظة سيئة الخيار. صاحت:

ـ لويد.. أريد أن أخرج من هنا. ألا تفهم هذا؟ نحن كمن يتجسس.. ولا أنوي أن يضبطني أحد. سوف أخرج سواء جئت معي أم لم تجيء.

حاولت أن تمر به لكنه أمسك ذراعها: «يجب أن أحدثك أسينا».

حاولت فك أصابعه عن ذراعها بيد مرتجفة.. وقالت لنفسها بخجل إنّ هذا أمر سخيف.. هذا لويد.. الصديق القديم.. لذا لا داعي أن تخاف منه.. مع ذلك، لم تستطع منع القلق من اجتياح نفسها.

توسلت: «ليس الآن لويد.. أرجوك يجب أن أعود لأجل الاختبار».

ـ اللعنة على الاختبار! أنا أحبك أسينا.. ألا تفهمين هذا؟

أحست بغضبها يتصاعد.. وحاولت مجدداً أن تشد ذراعها منه:

ـ لا أصدق أنك تحبني.. لو كنت تحبني لحاولت مساعدتي للحصول على الدور.. لا أن تقف في وجهي.

ـ علاقتنا أهم بكثير من الفيلم.

ـ ربما بالنسبة لك.. لكن ليس بالنسبة لي. ولو كان اختبارك سيجري بعد وقت لنظرت إلى الموقف نظرة أخرى مختلفة.

ندمت على كلامها حالما قالته.. فقد اشتد ضغط لويد على فكه بغضب، وانتقلت يداه لتمسكا بكتفيها بشدة، حتى آلمها.

ـ دعني أذهب.. أنت تتصرف بسخافة!

بدا أنه لم يسمعها.. وتمتم بصوت أجش:

ـ عانقيني أسينا.. وقولي إنك تحبينني.

حركت رأسها بيأس من جهة إلى أخرى:

ـ دعني أذهب لويد! لا تفعل هذا!

لكنه ثبتها على الطاولة بجسده.. أحست بالخوف منه وبالاشمئزاز.. إنها تكره أن يلمسها هكذا!

www.elromancia.com

انتزعت نفسها منه بقوة عنيفة مفاجئة، لكنه كان أسرع منها وأقوى.. فأعادها إليه، غير آبه حتى لو أذاها.. سمعت حرير بلوزتها يتمزق تحت أصابعه لكنها.. تابعت مقاومتها التي لم تخفف من ضغطه عليها، فتحت فمها لتصرخ، لكنه أسرع يسكتها.. راحت تقاومه بكل ما أوتيت من قوة.. إنها تكرهه.. وهي غبية لأنها وثقت به.. لكن الأوان فات على الندم.

لم تسمع الباب يفتح لأنها كانت منكبة على المقاومة.. كل ما عرفته أن لويد أرخى قبضته عنها وسنحت لها فرصة الخلاص من بين ذراعيه الحديديتين.. وقطعت الغرفة في خطوتين ونظرت إلى الوراء إلى لويد المسمّر. لكن نظرتها تلك كانت سبب دمارها.. فتوقفت فجأة.. فالعانق الذي يسد طريقها كان ضخماً لا يتحرك، تعبق منه رائحة عطر ما بعد الحلاقة.. وهذا العانق أمسك ذراعيها بقبضة كادت تكون أكثر إيلاماً من قبضة لويد.. فرفعت عينين مصدومتين خضراوين إلى وجه مألوف أسمر، بدا مرتفعاً كالبرج فوقها.

ـ آه.. لا.. لست أنت مجدداً!

خرجت الصيحة منها قبل أن تستطيع منعها.. للحظات سمّرتها الصدمة وراحت العينان الزرقاوان تحفران في جلدة رأسها.. جعلتها تعابير وجهه ترتجف، وأدركت أن هذا الوجه لن يكون لطيفاً أبداً.

ـ من أنت؟ وماذا تفعلين هنا؟

ردت عليه آلياً، فطريقته الآمرة تطلب الطاعة:

ـ لا.. لا شيء.. أبداً، لم نكن نفعل شيئاً.

كان صوتها يرتجف بسبب الخجل واحتاجت إلى جهد هائل لترفع ذقنها وتلتقي بعينيه.. جعلتها نظرته تدرك أنه رأى بياض بشرة كتفيها البارزتين من تحت البلوزة الممزقة.

لكن كان للاحتقار الفج التأثير المعتاد.. وجعلها تغضب.. فإما الغضب وإمّا الدموع.. وستكون ملعونة لو أعطت هذا الرجل الكريه الرضا بأن يراها باكية.

قالت: «دعني أذهب».

وحاولت شد نفسها من قبضته:

ـ سأتركك حين أكون مستعداً، ولن يتم هذا حتى تعطيني تفسيراً جيداً لسبب وجودك هنا.

عرفت أن وجودهما هنا يبدو مريباً.. أولم تقل هذا بنفسها؟ سحبت نفساً عميقاً، وتمتمت:

ـ ألم نحرر بعد ما هو سبب وجودنا.. أردنا مكاناً هادئاً نتبادل فيه الغرام.. وبدا لنا هذا المكان جيداً كغيره.

ثم بدأت تزرر بلوزتها ببطء شديد، وكانت تنظر إليه بشكل مباشر وعلى شفتيها ابتسامة تحدٍ.

أصدر لويد صيحة احتجاج خفيفة، لكنها تجاهلته.. فكل اهتمامها منصب على الغريب الأسمر الطويل الذي يمسك ذراعيها. كان ينظر إليها وكأنه لا يصدق ما يرى.. ثم هز رأسه، وعلى قسماته تعبير قرف.

ـ يا إلهي.. منذ وقعت عيناي عليك عرفت أنك مصدر هام لجلب المشاكل!

ـ لا قانون يمنع الحب.. هل هناك؟

ردت عليه نظرة بنظرة. كانت تعرف أنها تتصرف تصرفاً شائناً، ولكنه متعجرف فلماذا تندم على شيء تقوله له؟

تعمد تجاهل تحديها، وأخذت عيناه تنتقلان من لويد إليها، ثم إليه ثانية. سألت بصوت أجش:

ـ من أنتما؟ من أين جئتما؟ إن قدمتما لي تعريفاً إيجابياً فقد أفكر في السماح لكما بالرحيل، والعكس صحيح.

ردت عليه دون أن تخفي مشاعرها:

ـ كما قلت، نحن لا نحاول الإضرار بشيء.. ولا أرى لماذا تتهمنا بالتطفل!

نظر إليها بحدة:

www.elromancia.com

ـ هذه غرفة خاصة سيدتي . . أنت وحبيبك هذا تتجسسان .

ردت أسينا بلهجة فظة :

ـ اتصل بالشرطة . . لماذا لا تفعل؟ واثقة أنهم سيهتمون للأمر .

ـ قد أقدم على شيء كهذا!

ـ افعل إذا أردت . . بإمكانك تفتيشي كذلك ، إن لم تصدق ما أقول .

تكورت شفتاه : «شكراً لك . . لن يكون هذا ضرورياً» .

أنزل يديه عن كتفيها وكأنه لا يطيق لمسها .

تكلم لويد لأول مرة : «حباً بالله أسينا!»

الواضح أنه ارتبك لتصرفها ، لكنها لم تكد تسمعه . . الآن وقد تحررت من ذاك الغريب أدركت أنها لم تكن تشعر بالنفور من ذلك الرجل البغيض الذي كان يقبض على ذراعيها . وأحست بشكل غامر بطول وعرض جسمه . . وهذا ما جعلها غاضبة أكثر ، وجعلها كذلك لا تسمع اعتذار لويد .

كان يقول :

ـ دخلنا إلى هنا لنتكلم بهدوء . . أسينا متوترة الأعصاب قبل الاختبار . . واحتاجت للابتعاد عن الضجيج . . ونحن آسفان إن بدونا نتجسس .

قاطعته أسينا بسرعة : «لست آسفة!»

أصبحت عينا الغريب كقطعتي جليد :

ـ حذار يا سيدة! حذار جداً!

أصرّ لويد : «نحن آسفان . . لم نكن ننوي التجسس . . الأمر أن أسينا كانت متوترة قبل الاختبار ، وسيسرنا أن نعطيك اسمينا وعنواننا كما لدي رخصة القيادة .

وأخذ يبحث في جيب سترته ، وكله توق لإرضائه .

منحتها حركته تلك الفرصة التي تريدها . . فقد ابتعد اهتمام الغريب عنها لحظة ، وقبل أن تفكر في ما إذا كان عملها صائباً أم غير صائب ارتدت على عقبيها ، وأسرعت نحو الباب الذي صفقته بقوة خلفها . . حملها هروبها إلى الناس المجتمعين ، وإلى الأضواء والحديث في القاعة .

كان برايان واقفاً ينظر إلى الباب بلهفة ساعة دخلت ، وما إن رآها حتى افترّ وجهه عن ابتسامة راحة . . لقد رآها تشق طريقها بين الناس ، بشيء من عدم الثبات .

ـ أحمد الله أنك هنا! كدت أصاب بنوبة قلبية! فتشت المبنى كله بحثاً عنك . . خشيت أن يفوتك الاختبار .

اتسعت عيناها الخضراوان : «وهل نودي على اسمي؟»

أمسك يديها يضغط على أصابعها مطمئناً :

ـ لا . . لا تقلقي هكذا ، وصلت في الوقت المحدد .

تنهدت وأطلقت أنفاساً مرتعشة : «أشكر الله على هذا!»

ستحظى بفرصة إذن . .

قاطع برايان أفكارها :

ـ أين كنت أسينا؟ . . بحثت عنك في كل مكان ، ولم أجدك؟

هزت رأسها ، تحرك الخصل البرونزية :

ـ لا تسألني برايان . . فقط . . لا تسأل!

ـ حباً بالله حبي . . أنت ترتجفين كورقة في مهب الريح .

أمعن النظر بلون بشرتها العاجي :

ـ ظننتك خارجة لتهدئي أعصابك . . ولا يبدو أن هذا كان مفيداً .

ضحكت أسينا ضحكة هستيرية لأنها تذكرت الموقف الذي هربت منه .

ـ بإمكانك قول هذا مجدداً .

ـ اهدئي أسينا!

ـ أحاول . . أحاول حقاً! ولكني في هذه اللحظة أنا متأكدة من شيء واحد هو أنني أكره الرجال جميعهم .

ـ شكراً لك . .

ارتدت إليه : «ليس أنت برايان . . ليس أنت أبداً! بل لويد . . أكاد أقتله! كيف يمكنني . . » .

تشجنت أسينا ، فالإعلان المفاجئ أخرسها ثم قالت :

www.elromancia.com

ـ قل إنني أتخيل برايان . . قل لي إن هذا الصوت من نسج الخيال .

بدا الإشفاق في عيني برايان :

ـ لا ، لا تتخيلين شيئاً . . لقد نادوا اسمك .

صاحت تكاد تبكي :

ـ لكنني غير مستعدة . . أحتاج إلى تمشيط شعري . . وبلوزتي ممزقة . . يا إلهي ! لا شك أن مظهري سيء ! لا أستطيع الدخول هكذا . . لن أستطيع !

أمسكها برايان بكتفيها ، وأدارها إليه ، لتقوّمها عيناه :

ـ تبدين شهية . . صالحة للأكل !

تنهدت :

ـ أعرف . . كالجزرة .

وابتسمت رغماً عنها . . فضحك :

ـ هل قلت أنا هذا؟ لا . . صدقاً أسينا ، تبدين على ما يرام .

خرج اسمها مجدداً من المذياع : «أسينا لورد!»

نظرت إليه العينان النجلاوان المذعورتان :

ـ هل أبدو جيدة . . صدقاً برايان؟ ماذا عن البلوزة؟ هل تبدو ممزقة؟

ـ تبدين رائعة . . وصدقيني ، لن يلاحظ أحد هذا المزق إلا إذا أشرت إليه . . والآن اسحبي نفساً عميقاً ، وابدئي السير . . هيا ! حظاً سعيداً!

سارت سيراً متعثراً بسبب ارتجاف ساقيها ولكنها حاولت السيطرة على نفسها . . الباب إلى غرفة الاختبار ، مقفل لا يوحي بما ينتظرها وراءه . . سحبت نفساً عميقاً لتهدىء روعها ، ونظرت بسرعة إلى بلوزتها . . كل أزرارها سليمة وفي مكانها الصحيح . . وبرايان على حق ، المزق فيها لا يكاد يظهر . . سحبت نفساً آخر . . اللعنة على لويد غرايشام!

قبل أن تغير رأيها . . أجبرت نفسها على رفع يدها المرتجفة وقرعت الباب بهدوء . . ناداها صوت من الداخل أن تدخل . فأدارت مقبض الباب ، ودخلت . . وهناك راحت عيناها تدوران باضطراب حولها . . لم يكن هناك الكثير لتراه ، إنها غرفة صغيرة . . الإضاءة الوحيدة فيها آتية من مصباح في

السقف مع أن من الواضح أن لها نوافذ ولكنها مغطاة بستائر سميكة .

لم يستغرق التقويم القصير أكثر من ثانية . . واتجهت عيناها إلى الرجل الجالس خلف المنضدة . كان قد وقف مبتسماً . . أيمكن أن يكون هذا المخرج الشهير غارث ستون . . لكن لا . . لا يمكن . . كيف وصفته روان؟ أسمر ساحر؟ هذا الرجل قصير سمين قليلاً ، شعره بدأ التراجع عند الجبهة . . لكنه يبدو ودوداً وهذا يبعث على الراحة .

دنت منه تسلم عليه بيد متوترة فأمسك أصابعها بقبضة قوية ثابتة :

«اجلسي آنسة لورد» .

وعاد إلى وراء منضدته .

هذا لم يكن شيئاً توقعته أسينا . . أين هم الثلاثة الذين قابلوا لويد ، والذين تكلموا دون انقطاع خلال اختباره؟ أترى ما قاله عذراً ابتدعه لأنه لم يحصل على عمل؟

تكلم الرجل من وراء المنضدة ، فعادت فجأة من أفكارها .

كان يبتسم لها بحرارة :

ـ اسمي هيوغ فيلدنغ . . سأكون مساعد المخرج ، والواقع أن لقبي هو مساعد المخرج الأول .

وابتسم ابتسامة عريضة . . لم تستطع أسينا إلا أن تبتسم رداً . . عبث بالأوراق أمامه ، وعاد إلى تأمل الصورة المشرقة التي تظهر بها . . كان شعرها يتدلى في خصلات برونزية حول كتفيها ، ولمسة وردية تلون خديها .

ـ أريد منك أن تقرئي مشهداً قصيراً من السيناريو آنسة لورد . . سألعب دور الرجل .

دفع إليها بضعة أوراق مطبوعة :

ـ اقرئي السيناريو قبل أن نبدأ . . خذي وقتك .

تمتمت : «شكراً لك» .

وتحركت عيناها على الصفحات المطبوعة تحاول فهم الكلمات التي أخذت تتراقص أمام عينيها . . لكن دون جدوى . . لن تستطيع أن تركز ، فقد

عادت العينان الزرقاوان تلاحقانها . . لكنها سخيفة إن سمحت للغريب المتطفل أن يزعجها في هذه اللحظات . . أليس من سبيل للخلاص منه؟

أدركت فجأة أن الوقت يمر، وأنه ما زال أمامها نصف الاختبار تكمله . . فعادت عيناها تمران بسرعة على النص . . الحمد لله أنها تمرنت جيداً على لكنة كرونويل، فهذا على الأقل شيء لن يجد فيه المخرج عيباً . . نظرت إليه مترددة . . فإذا هو مستغرق في قراءة النص . .

رفع رأسه يقول:

ـ جاهزة آنسة لورد؟

أحنت رأسها، وفتحت فمها لتتكلم، وإذا أسوأ مخاوفها تتحقق . . فقد خرج صوتها متكسراً غير مفهوم . . عرفت أنها أخذت تحمر بشدة، فطأطأت برأسها، ليتساقط الشعر البرونزي يغطي وجهها .

ـ أنا . . آسفة . . سيد فليدنغ . . أنا . . متوترة قليلاً . أتظن أن بإمكاني البدء من جديد؟

ـ طبعاً . . هل يساعدك أن تقفي وأنت تقرئين؟ قد تتمكنين بهذا أن تتفاعلي مع الدور .

هزت رأسها شاكرة، ووقفت، تبلل شفتيها الجافتين بطرف لسانها . . هذه فرصتك الكبرى أسينا لورد، فلا تفسديها في هذه المرحلة!

صاحت: «لست أدري من قال لك هذا لكنه غير صحيح» .

واكتسب صوتها القوة مع تعاظم ثقتها بنفسها . أدركت أن لكنتها متكلفة، مصطنعة، لكنها على الأقل صحيحة . . ثم أخذت الكلمات تتدفق بسهولة فشعرت بأنها تسترخي .

صاحت مجدداً: «لماذا لا تصدقني؟»

ثم توقفت قبل أن تتم الجملة لأن هيوغ فيلدنغ رفع رأسه، لينظر إلى من فتح الباب وراءها . . فأدارت رأسها آلياً لتنظر، وكادت تتأوه بصوت مرتفع لما رأته . لم تصدق عينيها . . لم يعد الغريب الأسمر يقضّ أفكارها بطريقة مثيرة للسخط فحسب، بل بات هنا حاضراً بشحمه ولحمه . . وها هو مستند إلى

الباب المقفل . كانت عيناه الزرقاوان الباردتان تسخران من ارتباكها الكامل .

ابتسم بطريقة أرادت معها أن تضربه:

ـ إذن . . الآنسة لورد المراوغة . . هنا .

الواقع أنها لم تر قط من هو بدرجته في إثارة أعصابها . . طويل وأسمر، سرواله الجينز وسترته الجلدية تلتصقان به . . أخذ يراقب أسينا باهتمام مماثل، وراحت عيناه تتحركان على جسمها بطريقة مهينة . . كان يعرف ما يفعل بالضبط . ليس هناك ما تستطيع فعله .

سأل هيوغ فيلدنغ بحيرة:

ـ هل تعرف الآنسة لورد؟ . . لو أدركت أنك تريد أن تكون موجوداً لانتظرتك .

راقبت أسينا بغضب الغريب يرفع نفسه من وقفته على الباب، ثم يسير بهدوء نحو المنضدة ليجلس على زاويتها، وقدمه تتأرجح بتكاسل . ثم نظر إلى أسينا، متعمداً ابتسامة ساخرة:

ـ أنا لا أعرفها . . على الأقل ليس بشكل حميم . . اليوم كان لقاؤنا الأول .

تقدمت أسينا خطوة إلى الأمام:

ـ وسيكون الأخير . . كما أرجو!

بدت التسلية على وجهه من ردها الذي تبغي منه الاستفزاز . وابتسم مجدداً . . فشدت قبضتيها إلى جانبيها .

ـ آه! . . بكل تأكيد أستطيع أن أعدك بهذا .

مد يده بتمهل إلى جيبه، وأخرج علبة سكائر، أخذ واحدة له وقدمها إلى هيوغ . . هذه هي طريقته ليجعلها تدفع ثمن سوء تصرفها معه . . ولسوء الحظ، لديه كل الذخيرة المناسبة . . لكنها عقدت العزم على عدم تمهيد سبيله ليتذمر منها . . ليس أمام هيوغ على أي حال .

أدركت أنه لم ينته بعد، فقد مال إلى الأمام ببطء فوقع شعره الأسود على جبينه، وأشعل سيكارة هيوغ ثم سيكارته . . أحست أسينا أنها ستجهش

بالبكاء من فرط الغضب، إذا لم يتكلما فوراً.. فهي تريد أن تعرف ماذا يخططان لها.. نظرت إلى مساعد المخرج بقلق.. فحتى هو بدا كأنه نسيها.

قال للغريب: «لقد شاهدت ثلاث فتيات إداؤهن مقبول ولكن ليس بينهن من هي مثالية».

قالت أسينا بصوت أجش مضطرب: «هل أبدأ القراءة مجدداً سيد فيلدنغ؟»

رد على الفور: «آنسة لورد.. أعذريني.. عاملناك بفظاظة.. واثق أننا مستعدان الآن لسماعك».

هز الغريب رأسه الأسود الشعر ببطء:

ـ أنا لست على استعداد لسماعها، آنسة لورد.. ولن أكون مستعداً أبداً.. لأنني أعرف أنها غير مناسبة.

عضت أسينا على شفتها، وراحت عيناها تنتقلان من رجل إلى آخر.. وبدا القلق على هيوغ.. لكنها لن تسمح له أن يصرفها دون مقاومة.. خطت إلى الأمام خطوة مرتجفة ثم أخرى فأخرى حتى وصلت إلى الطاولة، ووضعت كفيها على سطحها.. وكانت تشعر بقوة بالشخص الصامت إلى يسارها لكنها تعمدت تجاهله.

نظرت إلى هيوغ فيلدنغ بعينين خضراوين متوسلتين..

ـ لا تصغي إليه أرجوك.. اختلفت آراؤنا قبل قليل، هذا صحيح.. ربما ما قلته له لم يكن لبقاً.. لكنه عاملني بطريقة فظة.. وجدالنا بالتأكيد لا يؤثر في قدرتي كممثلة.

قال الرجل بفظاظة:

ـ أنت تفتعلين المتاعب آنسة لورد.. بإمكانك الذهاب من هنا وإلقاء شرورك على شخص آخر.. لكنني لن أسمح لك أن تسببي المشاكل في فيلمي.

لم تستوعب أسينا معنى كلامه فوراً لأنها كانت مشغولة بالتوسل إلى هيوغ:

ـ أنا لا أفتعل المتاعب سيد فيلدنغ.. أنا ممثلة جيدة. أعطني الفرصة.. أرجوك!

نظر إليها هيوغ فيلدنغ، ثم تحرك بقلق في مقعده.. ونظر إلى الرجل على جانبه:

ـ أرغب أن أعطيها فرصة.

ـ لا مجال! لن تشارك في هذا ولو على جثتي!

لاح شبح ابتسامة على فم هيوغ:

ـ كنت أظن أن لي يداً حرة في الاختيار؟ ألم تقل إن الخبرة ضرورية؟

فهمت أسينا أخيراً.. وفغرت فاها ثم سارعت تطبقه.. كم كانت عمياء غبية! يا إلهي.. هذا لا يحدث أبداً إلا لها.. إنه المخرج! هذا الشخص البارد الساخر هو حلم روان.. لكنها لا تراه أبداً مصدراً للحلم بل مصدراً للكوابيس.

أكمل هيوغ يسأل:

ـ حسناً.. هل نسير على طريقتك أم طريقتي؟

لم تكن أسينا تدري ما الذي جرى بينهما في تلك النظرات المتبادلة.. كل ما عرفته أنها كانت تكتم أنفاسها.. ومرت لحظات صمت مشحونة، ثم ضحك غارث ستون ضحكة لوت فمه وقال:

ـ حسن جداً.. أنت تكسب.. وهذا سيذكرني ألا أقدم وعوداً متسرعة.

ارتدّ الرجلان إليها ولكن ضحكة غارث ستون اختفت كالسحر.. وقال بلهجة كارهة:

ـ يبدو أنك كسبت الجولة للآن آنسة لورد.. وسيسرنا أن نسمعك.

امتقع وجه أسينا بشدة، وأحست ببشرتها تحترق. وأجبرت نفسها على الابتسام للمساعد الذي قالت له:

ـ آسفة لأنني طلبت منك المخاطرة من أجلي.

ـ لا تقلقي بالك بهذا آنسة لورد.. أعتقد أن رقبتي قادرة على تحمل الضغط. والآن ما رأيك؟ أتظنين أنك قادرة على قراءة النص.. لأجلي؟

ـ أوه.. أجل.. أجل!

لكنها اكتشفت أن غارث ستون هو الذي سيقرأ دور حبيبها في النص.. مع ذلك، سار الاختبار جيداً.. فقد وضعت قلبها وروحها في دور فتاة شابة متهمة بالخيانة على يد حبيبها.. وكادت تحس بذرات الرمل بين أصابع قدميها، وكادت تسمع طيور النورس تطوف وتصيح فوق رأسها.

كانت نصف واعية لوقوف غارث ستون أمامها، لكنه لم يحاول كما توقعت أن يلهيها بأية طريقة.. بل قرأ دور الحبيب الغاضب بشكل جميل.. وكانت آسفة حين انتهى الاختبار.. وما إن أطبقت فمها على الكلمة الأخيرة، حتى عادت إلى الواقع بإجفال.. لا شيء تغير.. فما زال المخرج يمقتها.. ولن يعطيها دوراً في فيلمه، مهما كانت بارعة بالتمثيل!

رفعت عينين خضراوين عن النص، إلى وجهه فوراً.. كان ينظر إليها نظرة تثير الاضطراب ثم ما لبثت عيناه الزرقاوان أن ضاقتا بسبب الدخان.. وعندما ارتدت إلى هيوغ فيلدنغ لم تجد على وجهه ما يكشف عن شيء. مسحت كفيها سراً في بنطلونها.. وقد بدا لها الصمت سيستمر إلى الأبد..

قال هيوغ أخيراً: «اجلسي قليلاً للحظات».

كانت ركبتاها تصطكان وهي تجلس.. وكان الرجلان يراقبانها معاً.. ثم مال مساعد المخرج إلى المنضدة أمامه:

ـ الواضح أنك درست لكنة كرونويل جيداً.. هل أنت من تلك المنطقة؟

ـ لا.. أنا من مانشستر في الواقع.

ـ لقد تأثرت حقاً.

احمر وجه أسينا ابتهاجاً.. لكنها ظنته يلاطفها، ليحبطها..

صمت للحظات وكأنه يتردد.. ثم بدا وكأنه اتخذ قراراً.

ـ أريد منك أن تقرئي نصاً آخر لي.

مد يده إلى الدرج وسحب نص سيناريو آخر:

ـ أريد أن أسمعك تقرئين دور فرانسواز.. الفتاة الفرنسية التي تحطمت سفينتها على سواحل كرونويل. إنه دور أصعب، لكنني سأتمكن من الحكم

على أدائك من خلاله.. هل توافقين؟

ردت بصوت أجش: «أجل.. أجل.. بالطبع».

أخذت النص من يده ووضعته في حجرها. لم تفهم سبب ما يفعله هيوغ فيلدنغ، لكنها تعرف أنها أعطيت فرصة أخرى، ولسوف تتمسك بها بكلتا اليدين ولم يكن المخرج قد قال كلمة بعد.. وهذا ما حيرها. نظرت إليه خلسة.. فإذا هو يتابع التدخين وكأنه بعيد عما يجري، لكنها شعرت بأن تباعده ما هو إلا واجهة.

قال هيوغ: «اقرئي النص آنسة لورد.. ولا تهتمي كثيراً باللكنة الفرنسية.. ضعي فقط شعورك».

هزت أسينا رأسها بضعف، وأحنت رأسها فانسدل شعرها على خديها، وأجبرت نفسها على قراءة الكلمات المطبوعة أمامها.. لسوف تحتاج إلى كل شجاعتها.. هيوغ على حق.. فهذا الدور أصعب.. وعندما رفعت نظرها أخيراً، وجدت المخرج يفتح صفحات نص آخر.. ليس مرة أخرى! إنها لا تعرف لماذا؟ ولكنها تكره أن تقول كلمات الحب المكتوبة في السيناريو.

بدأت القراءة الثانية بكارثة.. كانت لكنتها الفرنسية رهيبة، وقد آذت حتى أذنيها.. قرأت صفحتين ووجدت أنها لن تستطيع الاستمرار، فهزت رأسها تسيطر على صوتها بجهد:

ـ آسفة سيد فيلدنغ.. لا أستطيع القيام بهذا.. ولا أعرف السبب.

قال المخرج: «حاولي مرة أخرى، وتظاهري أن المرأة إنكليزية».

اتجهت عينا أسينا مرة أخرى إلى وجه المخرج.. هل تخيلت ما سمعته أم لعله فعلاً يحاول أن يساعدها؟ جعلتها الدهشة غير قادرة على الكلام وعادت عيناها إلى هيوغ الذي هز رأسه مشجعاً فلم تضع أي وقت، وبدأت تقرأ من جديد، ونجحت هذه المرة، وكانت فعلاً فرانسواز دوروا. واللكنة الفرنسية تسللت بمفردها إلى الكلمات التي كانت تنطقها دون جهد.. وحين دعاها السيناريو لتمسك يد حبيبها، وجدت أن يدها تمتد آلياً نحو غارث ستون الذي أمسك بها سريعاً.

www.elromancia.com

ثم انتهى المشهد.. وعادت إلى الغرفة الصغيرة، ولأنها كانت مرهقة، رحبت بدعم يد المخرج. لكنه شدها بعيداً حالما انتهى المشهد.. فوقفت ترتجف.

وقف هيوغ فيلدنغ مبتسماً بلطف: «شكراً لك آنسة لورد».

هذه هي إذن.. سيصرفانها..

وكان هيوغ يتكلم، فرفعت نظرها إليه:

ـ سألتك إن كان كولفاكس ما يزال وكيلك.

ـ أجـ... أجل، لا يزال.

ـ إذن ستتصل به لاحقاً، لا بد أنك تدركين أن من المستحيل إعطاء قرار محدد في هذه اللحظة.

ـ با... بالطبع!

إذن هيوغ فيلدنغ على الأقل معجب بأدائها. ولولا تصرفها الكريه مع المخرج لحظيت بالدور.

مد مساعد المخرج يده، وبادلته المصافحة.. قال بعدها بهدوء:

ـ ستتصل بك آنسة لورد.

ابتسمت شاكرة وكأنها تصدق أن رأيه سيتغلب على رأي المخرج.

رغبت في المغادرة دون الاضطرار إلى توديعه.. لكن اللباقة لم تسمح لها بذلك. وعندما ألقت عليه تحية الوداع لم تتلق منه إلا هزّة رأس مقتضبة وجملة «وداعاً آنسة لورد» التي بدت مخيفة ونهائية. لكنها كانت قد تجاوزت مرحلة القلق.. ولم تعد يائسة لأنها لن تحظى بدور في فيلم محطم السفن.. وحمدت الله لأنها ستهرب من الغرفة، ومن غارث ستون، ونظرته الزرقاء الثابتة..

***

٣ ـ حرب العيون

تسلقت أسينا الدرج وهي تشعر كأنها تحمل مشاكل العالم على كاهلها.. لقد حظيت بالفرصة التي طالما تاقت إليها ولكنها خسرتها بسبب لسانها السليط.. وهي في الطريق إلى المنزل راحت تراجع أحداث اليوم مراراً وتكراراً تتساءل عما إذا كان هناك طريقة لتجنب الكوارث التي حصلت، أو قلب نتائجها.

في الواقع، كان هناك جملة رددتها بصورة مستمرة: ليتني.. ليت لويد لم يكن حاضراً في الاختبار.. ليتني بقيت في القاعة بأمان مع برايان، وليت المخرج لم يظهر كالجني الشرير في بداية الاختبار.. وصلت إلى منبسط الدرج ودارت ببطء إلى الباب، تتساءل كيف ستخبر روان..

تنهدت ثم دست المفتاح في القفل ودفعت الباب كارهة.. كانت روان جالسة قرب مدفأة الغاز، وكان المصباح القابع في الزاوية يرمي نوره الذهبي على رأسها الأشقر.. كانت تقرأ، لكنها رفعت رأسها حالما دخلت أسينا الغرفة.. ولم تكن بحاجة لتسأل فنظرة واحدة إلى وجهها كانت كافية.

ـ لم تحصلي على الدور؟

هزت أسينا رأسها: «لا تتصلي بنا، سنتصل بك».

رمت حقيبتها على الأرض وعلقت معطف جلد الخروف خلف الباب.

ـ الطقس يناسب مزاجي.. لقد تبللنا ونحن قادمان إلى البيت.. ففي غطاء سيارة برايان المكشوفة عطل ما.

وقفت روان.. ووجهها يعكس قلقها:

ـ آه أسينا! ماذا أستطيع أن أفعل معك؟ ستصابين بالبرد وتموتين! أنت مبللة حتى العظم.. شعرك يقطر وعليك أن تستبدلي سروالك بآخر.

كشرت أسينا عن وجهها سخرية:

ـ لا تنفعلي كثيراً روان.. سأكون على ما يرام، صدقاً..

وبدأت تتحرك نحو النار، لكن روان أوقفتها.

ـ اذهبي وغيري سروالك أولاً.. فيما بعد جففي شعرك أمام النار.. اذهبي.. وفي هذا الوقت سأضع إبريق الماء على النار.

أسرعت أسينا تخلع ملابسها المبللة، والواقع أنها كانت ترتجف في صقيع غرفة النوم غير الدافئة.. نظرت من النافذة إلى المطر المنهمر.. الساعة الآن الثالثة والنصف فقط، لكن كان من الضروري إضاءة المصابيح.. لقد قالت لروان إن الطقس يناسب مزاجها، وهذا صحيح.. كان يمكن لها أن تجلس على طاولة الزينة تبكي كطفلة، ولكن هذا لن يحسن الموقف.. جذبت بسرعة سروال جينز قديماً، ودست كنزة دافئة فوق بلوزتها الحريرية. لكن، ربما يساعدها البكاء في إراحة مشاعرها.. ولم تكن تعرف أي شعور هو الأولى بالأهمية: الإحباط أم الغضب من لويد غرايشام، أم من غارث ستون، أم من إشفاقها على نفسها.

وضعت سروالها المبلل فوق تعليقة وحملته إلى غرفة الجلوس.. خلال غيابها، أغلقت روان الستائر لذا بدت الغرفة دافئة مرحبة.. وتلاشى اكتئابها قليلاً، حين خرجت روان من المطبخ تحمل كوبين ساخنين من القهوة. ابتسمت أسينا رداً على نظرتها ولكن روان لم تبدُ مطمئنة..

سألتها روان: «هل أكلت شيئاً اليوم؟»

ـ شربت القهوة مع البسكويت والشوكولا وأنا أنتظر دور برايان في الاختبار، ولأنني كنت متكدرة كثيراً لم أستطع تناول طعام حقيقي.

تنهدت روان:

ـ عرفت أن هذه هي المسألة.. ولا أظنك تناولت الفطور كذلك؟

ـ ليس كثيراً، كنت متوترة الأعصاب.

ـ آه أسينا لحسن الحظ أنه عرض علي عمل آخر اليوم، لذا اشتريت قطعتي بيتزا وزجاجة مرطبات كبيرة.. ابقي هنا وجففي شعرك وسأذهب لأحضر وجبة الطعام.

حين دخلت أسينا إلى المطبخ بعد ربع ساعة، أدركت أن روان قامت فعلاً بجهد خاص. كان هناك باقة زهور على الطاولة، اختلطت رائحتها برائحة الجبن المغرية والتوابل المتصاعدة من الفرن. تعاطف روان معها دفع الدموع إلى عينيها. فقد كدرها كثيراً تصرف غارث ستون وازدراؤه إياها وآلمها.. كانت ترغب في فرصة تظهر له فيها أنه مخطىء بحقها..

دخلت إلى المطبخ تجر كرسياً وجلست فيه:

ـ أشعر أنني مخادعة.. عليك ألا تعتني بي هكذا.. فأنت التي اكتسبت لقمتها اليوم.. وأنا لم أنجح في سوى إفساد كل شيء.

ـ لا تكوني حمقاء أسينا! إنه سوء حظ.

ـ أجل.. أوافقك الرأي هنا.. وسوء الحظ اسمه لويد غرايشام!

كانت روان راكعة أمام الفرن المفتوح، فأدارت وجهاً متورداً نحو أسينا:

ـ آه.. لا! كان عليّ أن أحزر! ماذا فعل؟ هل افتعل شجاراً عنيفاً؟

هزت أسينا رأسها بتعاسة وأخذت تخبر روان ما حدث.. وأضافت بوجه متجهم:

ـ وحضري نفسك إلى صدمة أخرى، الرجل الذي ضبطنا لم يكن سوى غارث ستون!

تأوهت روان استنكاراً، ووضعت قطع البيتزا على طبقين حضرتهما:

ـ آه أسينا!.. لا يمكن لهذا أن يحدث لأحد سواك!

ـ أعرف.. لقد كرهته لحظة شاهدته، لذا عاملته بفظاظة كبيرة.. كان متعجرفاً مغروراً، لذا أردت أن أريه أنه لن يستطيع إرهابي.. آه! لو عاملته بتملق لغضّ النظر عن أي شيء آخر.. لكنه أغضبني غضباً دفعني للرد عليه بأول تعليق مهين جاء على لساني.

ـ آه أسينا.. طباعك هذه!

ـ أجل أعرف، وبعدما هدأت شعرت أنني مستعدة لمعاقبة نفسي.. كان يجب أن أزحف أمام الوحش المتكبر، أن أفعل أي شيء لإقناعه أن يعرض عليّ الدور.

ـ لا تبدي مثل هذا الغضب حبي! إذا كان كريهاً كما تقولين، فلا أعتقد أنه كان سيغيّر رأيه مهما فعلت.. يجب أن أقول إنه بدا ساحراً على التلفزيون ولكنني فكرت يومذاك أنه قاسي الفؤاد لو أعطي الفرصة.. وأن ما يبديه هو نصف سحره.. الرجال الأقوياء ساحرون دائماً.

في سرها كانت أسينا على استعداد لموافقتها الرأي.. صحيح أنها اعتبرته أكثر الرجال فظاظة وتعجرفاً في حياتها، إلا أن هذا لم يمنعها من الاعتراف بجاذبيته..

ـ آه!.. لا شك عندي أنه قادر على إدارة سحره إذا أراد.

وأخذت تقطع البيتزا بعنف لا لزوم له.

ـ وهو يعرف بالتأكيد أي رابح هو.

ـ وماذا عن اختبار برايان؟ كيف سارت الأمور معه؟

أشرق وجه أسينا بشكل ظاهر.

ـ إنه الأمر الوحيد المبهج في هذا اليوم الفظيع.. لقد عرض عليه دور أحد محطمي السفن.

شربت بعض المرطبات قبل أن تضيف:

ـ إنه رائع بالتأكيد.. قصير وأسمر، ويبدو «سلتياً» بكل التفاصيل.

ـ ستسعد بام بهذا.

ـ لا يبدو أنها تتذمر من العمل طوال اليوم لتعيلهما معاً لكن هذا أمر مزعج أحياناً.

دفعت طبقها متنهدة بسعادة:

ـ هذا لذيذ روان.. أشعر أنني أكثر مرحاً الآن.. لكن يكفي كلاماً عن الاختبار.. وأخبريني عن مهمتك اليوم. لا بد أنك كنت ناجحة.

ـ أجل.. كانت ناجحة..

رن جرس الهاتف بشدة، فقطع كلام روان التي تنهدت وهي تقف:

ـ لا.. اجلسي أنت وأكملي قهوتك.. سأرد على المخابرة.

ارتشفت أسينا القهوة ببطء، ثم أدارت رأسها بدهشة مع عودة روان بسرعة، لتقول:

ـ إنه وكيلك.. أتظنين..

هزت أسينا رأسها نفياً. ثم وقفت تضع السماعة على أذنها.

قالت باختصار ولهجتها خشنة من التوتر: «أسينا لورد».

مرت لحظات صمت وهي تصغي، ثم شهقت صدمة:

ـ لا أصدق هذا! هل أنت واثق أن الأمر ليس مزاحاً؟.. لكن.. لماذا؟ لم يلمحا لي بشيء.

ارتدت أسينا إلى صديقتها، وحركت فمها: أخبار رائعة! رائعة! ثم أعادت اهتمامها إلى الهاتف.

ـ كرر الرقم لو سمحت.. أجل.. أجل.. أنا موافقة! إنه هكذا حقاً!

وأخذت تهز رأسها بعنف:

ـ غداً في الحادية عشرة.. طبعاً سأكون هناك.. الغداء.. أجل، أجل إذا أحببت! وداعاً الآن!

وضعت أسينا السماعة بضجة صاخبة مكانها. وارتدت إلى صديقتها.. تضغط أصابعها المرتجفة على خديها:

ـ لن تصدقي هذا.. ولا أعتقد أنني أصدق.

ـ اهدئي، واخبريني ما قال.

ـ اتصل هيوغ فيلدنغ، مساعد المخرج، بوكيلي منذ عشر دقائق.. لقد عرضوا علي دوراً في الفيلم.

سارعت روان تعانقها: «هذه أخبار رائعة أسينا.. أنا سعيدة من أجلك».

ـ إنه أروع مما تظنين.. يا إلهي! يجب أن أجلس، أشعر أنني أرتجف.

تقدمت إلى أقرب كرسي وانهارت بضعف عليه، ووقفت روان تراقبها،

www.elromancia.com

والتسلية تختلط بالفضول على قسماتها الجميلة.

ـ هيا أسينا.. أكاد أموت فضولاً.

ـ لقد عرضوا عليّ دور فرانسواز، وهو الدور المساعد النسائي الأول.. الممثلة التي كانت ستلعب الدور اكتشفت أنها حامل.. لقد قرأت الدور.. لكنني لم أحلم.. قبل أي شيء، كانت لكنتي رهيبة. وكنت واثقة أن غارث ستون لن يتركني أقترب خطوة من فيلمه الثمين.

ارتدت إلى روان والذعر يطغى عليها:

ـ كيف سأعمل مع ذلك الرجل بعدما حدث اليوم؟ لا بد أنه يكره منظري.

ـ اهدئي أسينا.. لا تقلقي على لا شيء الآن.. على أي حال، لقد عرض عليك عملاً.. وصدقيني لن يتعمد معاداتك ما إن تصبحي في موقع التصوير، فهناك أشياء كثيرة في الموازنة، فكري في النواحي الإيجابية.. فكري في المال.

ـ آه.. أجل! انتظري لتسمعي كم سيدفعون لي. لا عجب أن وكيلي دعاني إلى الغداء غداً. بعد اليوم لن نقلق على إيجار الشقة..

تشبثت أسينا بجانب سيارة برايان، وحضرت نفسها لموت مروع، وظلت خائفة حتى ترك الطريق الضيقة الموصلة إلى «أردونيان ماينر» وعندئذ أخذت تمتع نفسها بالمنظر الرائع الذي يحيط بهما.. لكنها جلست تركز نظرها أمامها مباشرة، وكانت عقد أصابعها بيضاء وهي تقبض على باب السيارة.. لكن برايان لم يكن مدركاً للخطر الذي وضعهما فيه.

قال مبتسماً:

ـ لم يبالغوا.. أليس كذلك؟ وأنا سعيد أنني لم أضطر إلى المناورة في هذه المنعطفات خلال الشتاء.

حاولت أسينا أن ترد الابتسامة، لكن كان من المستحيل أن تفعل هذا.

ـ أرجوك راقب الطريق جيداً برايان.

كانت تتوسل بهدوء.. وخاطرت بنظرة من فوق كتفه، ثم أدارت رأسها

بعيداً:

ـ لا أرغب في إنهاء مستقبلي الواعد وأنا محطمة فوق هذه الصخور.

ـ هاي.. ألا تعجبك قيادتي؟ آسف، حبي.. إننا بأمان تام.. في الواقع لقد تم تحديد المنعطفات بكفاءة على هذه الطريق.

ارتجفت أسينا مرة أخرى:

ـ أنا أخاف من المرتفعات.. وأعرف أن هذه حماقة.. لكنني ممن يصاب بالدوار إذا ما جلس في الطابق العلوي في الباص.

ضحك برايان، لكنه تجهم بسرعة:

ـ يا الله.. أسينا.. وهل قرأت السيناريو؟

أدارت رأسها تهزه بالإيجاب.

ـ لا تقلق برايان.. أعرف أن عليّ أن أتسلّق الصخور ولكنني سأعتاد على هذا.. يجب أن أعتاد.. فلن أخسر هذه الفرصة من أجل خوف أحمق.. وما إن أدخل روح الدور حتى أنسى خوفي.

وافقها برايان الذي هو ألطف من أن يقول إنه يعتقد أن من غير المحتمل أن تختفي مخاوفها، لكنه لم يكن مضطراً أن يقول أي شيء آخر.. ففي تلك اللحظة انعطف ليواجها «أردونيان ماينر» حيث موقع تصوير «عروس محطم السفن».. في آخر مئة يارد، كان الطريق قد ابتعد عن حافة الصخور ولم يعد بادياً من مناظر المكان سوى صخور مرتفعة على الجانبين.. لكن الطريق الآن انفتحت على العراء مجدداً.. وكان المنظر يخطف الأنفاس.. أطلقت أسينا أنفاسها، وأوقف برايان السيارة فوراً، ليأخذ الكاميرا من الخلف ويقفز إلى الخارج، ويتخطى الخندق على جانب الطريق، ويتسلق جانب التل.

قنعت أسينا بالبقاء حيث هي، تتمتع بالمناظر.. كانت «أردونيان ماينر» رائعة. كان المنزل جميلاً بحيث بدا أنه غير حقيقي.. إنه بالضبط الموقع المناسب لتصوير الفيلم، فالمنزل جاثم فوق حافة الصخور وحجارته التي غير فيها الزمن ما شاء، تبدو جزءاً لا يتجزأ مما حولها، مثلها مثل الصخور المسننة المشققة، التي تحضن المياه المزبدة أسفل المنزل.

الواضح أن أصحاب منزل المزرعة كانوا مسرورين لأنهم أجروا المنزل لشركة الأفلام، وهم الآن يقضون عطلة في أميركا.. ولكن أسينا تساءلت كيف يطيقون أن يتركوا مثل هذا المكان الجميل، وهم يعرفون أنه سيستخدم لتصوير فيلم..

انفتح باب السيارة فجأة، فاستدارت أسينا تبتسم في وجه برايان وهو يعود وراء المقود، يمرر أصابعه في شعره في محاولة لإعادة ترتيبه، ثم استدار إليها وعيناه تبرقان بالإثارة.

ـ هذا المكان مذهل! حقاً مذهل! ستون يعرف بالتأكيد ما يفعل.. بدا لي الوصول إلى هنا في سيارة أمر فيه تطفل على التاريخ، كان يجب أن نأتي في عربة تجرها الخيول، ونرتدي الثياب القديمة المنتفخة.. و..

قاطعته أسينا ضاحكة: «أوافقك الرأي، وستبدو رائعاً في ثوب منتفخ! لكن، يا حبيبي، أنت في قرن آخر.. إنما أفهم ما تقصد.. فمنزل المزرعة يعود بالضبط إلى الفترة التي حددها السيناريو، وبشكل مخيف».

ـ كل ما أرجوه أن يكون المكان أكثر راحة من الداخل.

غيّر برايان السرعة في السيارة، وبدأت تهبط التل ببطء.

ارتجفت أسينا فجأة.. كانت قد أعطيت غرفة في منزل العزبة، لكن برايان كان سيبقى في فندق القرية.

ـ لا تتكلم عن هذا برايان.. ليتني لن أقيم هناك.. فأنت الشخص الوحيد الذي أعرفه.

ـ أما زلت تفكرين في هذا؟ صدقاً أسينا، لا داعي للقلق، فسيكون الجميع مؤدبين معك.

ـ لكن غارث ستون لا يحبني، والواضح أنه لن يسهل لي الطريق.. ولقد بدأت أتساءل ما إذا كان الجميع سيفعل مثله، ولهذا سأكون معزولة كلياً.

ـ بالتأكيد لن تكوني معزولة.

وانعطف بالسيارة إلى منعطف حاد آخر.

ـ يستحيل أن يتجاهلك منزل مليء بالرجال.. ثم إن اهتمام غارث ستون

الأول سيكون منصباً على الفيلم، وليس عليك.

استرخت قليلاً.. ومع أن برايان لا يعرف القصة الكاملة لخلافها مع المخرج، كانت كلماته مطمئنة.

ـ أنت خير داعم لغروري.. لكن حتى أنت لا يمكنك أن تقنعني أنني قادرة على البقاء مع ميريان سينكلير أكثر من ثلاثة أشهر في مكان فهي كما تقول الشائعات تكره النساء كما يُقال إنها وغارث ستون عشيقان.. ومن الضروري أن تكون بغيضة معي.

وافقها الرأي:

ـ إنها سافلة.. لكنها بارعة بالتمثيل.. ابعدي عينيك عن المخرج، ولسوف تتركك وشأنك.

ارتجفت أسينا لأن صورة مفاجئة لعينين باردتين زرقاوين طالعتها.. فكرت في أنها لن تستطيع تجاهل نصيحة برايان.. فغارث ستون رجل خطر، ولسوف تبقى بعيدة عن أجوائه بأكبر قدر ممكن.

ضحك برايان ضحكة عريضة وهو يكمل:

ـ حين تصبحين نجمة، ويلمع اسمك بالأضواء، فستنظرين إلى الوراء متسائلة لماذا كل هذا الضجيج.

ذلك المساء وهي واقفة في غرفة الاستقبال حاولت أسينا تذكر كلمات برايان المشجعة لكنها كانت خائفة من لقاء غارث ستون مرة أخرى، وبدا لها الأمر وكأن لا شيء يمكن أن يغير هذا الإحساس.. تبرجها متحفظ، وبأقل ما يلزم. فستانها الصوفي الأخضر الناعم عالي الياقة. كل شيء مصمم لإظهار الصورة التي كانت واثقة أن المخرج سيحملها في رأسه.. مع ذلك فثقتها بنفسها كانت معدومة.

رأت الآن غارث ستون في الطرف الآخر من الغرفة، محني الرأس يصغي باهتمام إلى ليون دانتون، المدير الفني.. ولكن من الصعب ألا يراه أحد فقد بدا مسيطراً بسترته السوداء التي كانت تتناسب مع جسمه، ومع كتفيه العريضتين.. بدت خطوط وجهه الخشنة رقيقة وهو يبتسم لشيء قاله ليون.

اضطرت أسينا للاعتراف أن المرأة الواقفة إلى جانبه تلفت النظر مثله تماماً.. لقد سبق أن شاهدت ميريام سينكلير في الصور والأفلام أكثر من مرة، لكنها لم تكن مستعدة لتأثير جمالها فيها عندما تراها شخصياً.. إنها الكمال من قمة رأسها الأشقر إلى أخمص قدميها.

كان هيوغ فيلدنغ واقفاً إلى جانب أسينا، وكان يلاحق اتجاه نظرتها، ثم تكلم الآن يتطفل إلى أفكارها:

ـ وصلت ميريام منذ ساعة فقط.. كانت مسافرة وخشي غارث أن لا تتمكن من الحضور. وأرجو الله ألا تكون مرهقة.

لكنها لم تكن تبدو مرهقة.. بل العكس، كان وجهها الجميل يتوهج صحة وحيوية.. وكانت تتعلق بذراع المخرج، وترفع رأسها مبتسمة وكأنها ترغب أن تأكله حياً. ولسبب ما، وجدت أسينا هذا مثيراً للاضطراب، فارتدت إلى هيوغ فيلدنغ وعلى وجهها خيبة أمل وسخرية:

ـ هل يمكن أن تقول لي ماذا أفعل أنا، هنا بين كل هؤلاء الناس؟ أنا مجنونة لأنني قبلت الدور.. فأنا لا أعرف شيئاً عن الأفلام!

لم تكن تنوي التصريح عن قلقها، لكن ثقتها بنفسها اليوم كانت معدومة.. كانت تشعر بالسذاجة وقلة الخبرة.. ولكنها كانت تعرف أنها محظوظة، وكان دورها كفرانسواز فرصة ممتازة.. إنما هناك إحساس مزعج يسيطر عليها وهو أن غارث ستون سيكون أول من سيهتف بسعادة إذا فشلت..

قال هيوغ: «أنت هنا لأن لديك مواهب أسينا وأنت أكثر من قادرة على لعب دور فرانسواز.. لقد اختبرتك بنفسي أتذكرين؟ وأعرف أي نوع من العمل أنت قادرة عليه، وما كنت لتكونين هنا لولا إيماني بمواهبك.. وأنا أعرف أنك تشعرين بالتوتر، لكن أرجوك دعينا لا نسمع المزيد من الكلام السخيف!»

لم تستطع أسينا إلا أن تستجيب لدفء تصرفاته بابتسامة.

تمتمت شاكرة: «أنت بغاية اللطف هيوغ».

عوّض لطف هيوغ كثيراً عن تصرف المخرج البغيض.. واستمر هيوغ بالكلام، لكن أسينا لم تعطه أكثر من نصف اهتمامها.

ـ لم أكن لطيفاً أسينا.. ولكنني عنيت كل ما قلته.. أنت موهوبة وجميلة.. وستحظين بنجاح كبير.

ـ هيوغ حبيبي.. أتعبث ثانية؟ ماذا ستقول تينا؟

قيلت الكلمات بهدوء وبصوت ساخر، وهذا ما دفع حمرة الخجل إلى وجه هيوغ اللطيف.. لم يلاحظ أحد وصول ميريام سينكلير التي كانت أكثر جمالاً عن قرب، ببشرتها الشاحبة ووجهها الرقيق الخالي من العيوب.. مع ذلك، تركزت عينا أسينا على وجه الرجل الواقف إلى جانبها.. فامتقع لونها ما أن تلاقت نظراتهما.

لم تكن بحاجة أن تكون قارئة أفكار لتعرف ما يدور في رأس غارث ستون.. كانت مكتوبة بأحرف كبيرة على قسماته التي لا تلين.. رأيه فيها لم يتغير منذ آخر مرة التقيا فيها.. وهذا ما أشعرها بالتعاسة.. بل أكثر من هذا! فقد سمع محاولات هيوغ اللطيفة لطمأنتها، ومثله مثل ميريام سينكلير، وضع أسوأ التفسيرات الممكنة على كلامه.

هل سيكون الأمر هكذا دائماً؟ هل ستبدو دائماً أمام هذا الرجل في أسوأ ضوء؟ تابعت تنظر إليه عاجزة وعيناها الخضراوان واسعتان ضعيفتان، تعكسان حالة التشوش في أفكارها. رد عليها نظراتها ببرود.. أرادت أن تنظر إلى البعيد، ولكن بدا لها أن عيونهما تشابكت، وطال الصمت، وتصاعد التوتر حتى كادت تحس به يضرب رأسها.. أحس هو أيضاً بالتوتر إذ ضاقت عيناه، واسود لونهما حتى أصبح أزرق عميقاً.. وفي هذه اللحظة أخذ إحساس غير معروف يتحرك في عمقهما، فخطف أنفاس أسينا.. وتركها ضعيفة مرتجفة، تحاول جاهدة أن تقاومه.

ثم فجأة غاب كل شيء. وتحررت نظرتها، ونظر المخرج إليها وكأنها أكره شيء شاهده في حياته.. لقد مرت بتجربة غريبة قاسية، تجربة لا ترغب أبداً في تكرارها.

ـ ما زالت الآنسة لورد مسحورة بكلامك هيوغ.

جرحت الضحكة الخفيفة المرافقة لكلمات ميريام مشاعر أسينا.. ورغبت أن تدير ظهرها وتخرج من الغرفة، وتترك كل مشاعرها المضطربة خلفها.. لكنها ببساطة لم تمتلك الشجاعة، ولم تكن متأكدة أن ساقيها اللتين ترتعشان قادرتان على حملها.

قال هيوغ بصوت أجش: «أسينا فهمتني، فقد كانت تحس برهبة منا جميعاً. وكنت أقول لها إن لا شيء تقلق منه».

ابتسمت ميريام لأسينا بود ظاهر مشوب بشيء من التكبر:

ـ حبيبتي.. يجب ألا تقلقي، وكما قال هيوغ لسنا غيلان.. وسنساعدك جميعاً بقدر ما نستطيع.

نظرت أسينا إلى وجه غارث ستون المتجهم وعرفت أنه لن يعرض أي نوع من المساعدة.

أدارت ميريام وجهها إلى غارث ستون:

ـ كان غارث مساعد مخرج أول في أول فيلم مثلت فيه.. أتذكر كيف فشلت في البداية حبيبي؟ كان الأمر ميؤوساً منه تقريباً.

قال غارث مبتسماً: «آسف ميريام.. يبدو أن ذاكرتي تخونني.. فلا أذكر سوى ممثلة جميلة موهوبة..».

أحست أسينا بالغثيان.. ففي هذا الغزل مبالغة. ولكن ميريام تقبلته وتصاعدت ضحكتها بلطف:

ـ غارث.. أنت تغازلني.. لكن هذا يعجبني. الآن أنا واثقة أن هيوغ والآنسة لورد، سيعذراننا لنتحرك مبتعدين عنهما.. نريد الحديث مع بعض الأشخاص قبل العشاء.

ابتسمت لأسينا:

ـ سنتحدث ثانية فيما بعد عزيزتي.. وإذا أحسست بالمزيد من القلق، فسارعي إليّ لنناقش الأمر في أي وقت.

ردت أسينا الابتسام بضعف وراقبت سير ميريام وغارث في الغرفة،

فالمخرج لم يتوجّه إليها بكلمة وداع، بل تجاهلها كلياً وهذا ما آلمها.. ربما كما قال هيوغ، هي مناسبة لدور فرانسواز.. وربما ستثبت كذلك أنها ناجحة.. لكنها كما يبدو، وفي عيني غارث ستون، مدموغة إلى الأبد بصورتها كفتاة عابثة.

دخل الجميع إلى غرفة الطعام بعد وقت قصير، وجلست أسينا في الكرسي الذي أمسكه لها هيوغ. كانت المائدة مضاءة بشموع بيضاء طويلة، وتأثرت أسينا برومانسية العشاء لكن هذا لم يؤثر في مزاجها. أكلت وشربت ما وضع أمامها دون أن تتذوقه فعلاً.. تكلمت، ضحكت، وأجابت حين كان يجب أن تجاوب.. لكن تفكيرها كان يبعد كثيراً.. كانت ترى المخرج على رأس المائدة، مرات ومرات أدارت عينيها باتجاهه وكأنهما مشدودتان إليه بسلك وهو يمسك بالخيوط.

رأت فيه شخصاً مختلفاً عن الرجل الذي أظهره لها.. كان جسمه النحيل مسترخياً، والابتسامة دائمة على شفتيه، وكان يوزع اهتمامه بالتساوي بين ميريام من جهة وبين المدير الفني من جهة أخرى.. ضحك فجأة فظهرت أسنانه البيضاء ولكن أسينا أشاحت بنظرها عنه بسرعة. وارتشفت من العصير أمامها، وكم استمتعت به وهو يجري في حلقها الجاف، ويرطب فمها.

استمر هيوغ بمحادثتها طوال الأمسية.. يخبرها عن عائلته.. وأخيراً بدأت تصغي إليه.. فالواضح أنه كان مجنوناً بحب زوجته وأولاده.. وهذا كثير على تفكيرك القذر الشكاك غارث ستون.. والتمعت عينا أسينا الخضراوان.. تفضحان تفكيرها الغاضب، ورأى هيوغ وجهها وأساء التفسير.. فقال بصوت خشن:

ـ أنا آسف أسينا.. هل أضجرتك؟ ما إن أبدأ بقصة حياتي حتى أنجرف بعيداً.

كان ردها فورياً صادقاً:

ـ لا تكن سخيفاً! لست ضجرة، بل أنا بعيدة عن هذا كل البعد.

ابتسمت له بدفء لتؤكد كلامها.. فليست غلطة هيوغ أن يكون غارث

ستون قذراً . . وليس من حقها أن تجعله كبش فداء لقلقها .

أضافت بصوت جاد: «أنا أستمتع في الإصغاء إليك . . أرجوك لا تتوقف الآن» .

في هذه المرة أعطته كل انتباهها . . وتركزت عيناها الخضراوان على وجهه الأحمر . . ولكنها ظلت تعي وجود المخرج على رأس المائدة . . وكادت تشعر بعينيه تمران بظهرها، ومع ذلك ظلت تدير ظهرها إليه متعمدة ومصممة على إبعاده عن تفكيرها .

أخيراً بدأت تسترخي . . والسبب ربما حديث هيوغ اللطيف وتصرفاته اللبقة . . وبسبب لطفه هذا وجدت نفسها تنفتح وتخبره عن عائلتها وحياتها في لندن، وكان هيوغ مستريحاً، يسترخي في مقعده، يصغي ويبتسم . فراحت تروي عليه قصة خلافها مع غارث ستون . .

في النهاية سألته :

ـ ماذا أستطيع أن أفعل؟ أعرف أن لقاءنا كان رهيباً ولكنه كان متعجرفاً ولعيناً، ووائقاً من نفسه، وكنت غاضبة من لويد . . لذا لم أستطع السيطرة على غضبي .

وهزت كتفيها تراقب وجهه . . فلم تكن تصدق أنه قادر على مساعدتها، لكن مجرد البوح له بما يشغل بالها أراحها .

تنهد هيوغ، الذي مال إلى الأمام في كرسيه وأحد مرفقيه يستند إلى الطاولة .

ـ تريدين نصيحتي أسينا . . يجب أن تشرحي المسألة له هذا المساء . . قولي له الحقيقة، واعتذري . . إنه رجل عاقل، ولسوف يسمع دفاعك بإنصاف .

لكن أسينا تشك في هذا . . ولزم هيوغ بضع دقائق لإقناعها، ثم سألها :

ـ ماذا ستخسرين؟ كيف له أن يكتشف الحقيقة إن لم تشرحي له المسألة؟

نظرت أسينا إلى رأس الطاولة تفكر :

ـ هذا صحيح . . أتراني قادرة على ذلك؟

***

٤ ـ بعد الضحك الندم

ذلك المساء أدركت أسينا بذهول أن من الصعب جداً الانفراد بغارث ستون . . بل هي تقريباً، مهمة مستحيلة . . فقد تعلقت ميريام به وكأنها لصوق وبدا أن لدى الجميع مشكلة لا يستطيع الانتظار لمناقشتها معه . كانوا قد عادوا إلى غرفة الاستقبال لشرب القهوة، واتخذ لنفسه مكاناً قرب المدفأة الحجرية الضخمة .

اجتمع الجميع حوله، وكأنهم نحل حول الرحيق . . راقبته أسينا التي لم ترغب أن تدفع طريقها عبر الجميع للفت اهتمامه، وأملت أن يبقى مشغولاً طوال الأمسية ليكون لديها عذر يمنعها من مكالمته . . أحست بالخجل لأن جسمها يرتجف . . إنها متوترة وخائفة حتى الموت .

أخيراً حصرته في زاوية، وتحققت أسوأ مخاوفها فقد أصغى إليها بصمت أثار أعصابها . . وفيما كانت تقصّ عليه قصتها، راحت عيناه الزرقاوان الباردتان تخترقان همهماتها واستطاعتا قراءة الكلمات في رأسها قبل أن تنفوه بها . . أخيراً صمتت أسينا، وجسمها كله متوتر . بعدما أنهت تفسيرها رأت بوضوح أنه لم يصدق كلمة مما قالته .

قالت بصوت أجش : «أنت لا تصدقني!»

أرادت أن تبكي، أو تصيح، وأن ترمي الأشياء . إنها بحاجة إلى شجاعتها كلها لتواجهه هذا المساء، وها هي الآن تشعر وكأنه رفسها على أسنانها .

كان يراقبها وعيناه الزرقاوان تشعان ثلجاً :

www.elromancia.com

ـ وهل تتوقعين أن أصدق؟

كان يطرح سؤالاً بيانياً بغية الحصول على رد. . لكن أسينا لم تستطع أن تتفوه بكلمة. .

أضاف: «أنت حمقاء جداً آنسة لورد. . لقد وضعت هيوغ الصغير في إصبعك الصغيرة. . فليكن هذا كافياً لك. . ولا تقلقي. . أنا لن أتسبب لك بأوقات صعبة شريطة أن تعملي جاهدة، وتقومين بالعمل الذي تتقاضين عليه أجراً».

أحست أسينا بغضبها يتصاعد ويتصاعد حتى أصبح بركاناً يوشك أن ينفجر. . أحست بذقنها يرتفع، وعرفت أن غضبها واضح في عينيها البارقتين المتطايرتين شرراً. .

تمتمت برقة حادة: «هذا كرم أخلاق منك».

ابتسم ساخراً: «أنا معروف بكرمي المتهور».

اهتاجت أسينا: «وليس من المهم ما قلته لك. . أليس كذلك؟ قد يكون لي عشرة شهود على صدق قولي، ومع ذلك لن تصدقني».

رفع حاجبه معترفاً بصحة قولها، وأحست بدافع بدائي إلى ضربه، لتمسح هذه الابتسامة الساخرة التي تدل على التفوق، عن وجهه الوسيم. سحبت نفساً عميقاً، وشدت يديها إلى جنبيها تقاوم إغراء ضربه. .

تنهدت غاضبة: «ما الفائدة. . لن تمنحني أبداً حق الاستفادة من الشك».

ارتفع الحاجبان الأسودان أكثر:

ـ الشك، آنسة لورد. . ما هو الشك الممكن الذي قد أفكر فيه؟ كما أذكر، لقد أدنت نفسك بلسانك. . والآن هلاّ عذرتني. .

أحنى رأسه قليلاً وارتدّ متحركاً ليضع كوبه الفارغ على طاولة جانبية.

لكن يجب أن تفرض عليه الإصغاء:

ـ لا تذهب! ليس الآن! أرجوك!

توقف. . عيناه حادتان، ورأت أسينا أنها للمرة الأولى ذلك المساء تمكنت

من اختراق قوقعته الباردة. . وبدا عليه الانزعاج. . الواضح أنه غير معتاد على من لا يقبل صرف النظر عنه بكياسة. . وأحست كأنها دبور مزعج يطنّ حول رأسه. . وشعرت أنه في أية لحظة سيمد يده ويضربها ليفقدها الوعي. . حدقت إليه من أعماقها ولو دون أمل. . كان يجب أن تتركه يبتعد كما كان ينوي.

ـ أرجوك سيد ستون، أنا. .

وعضت على شفتها، وأطرقت تنظر إلى يديها ولكن عليها ألا تتركه يؤثر فيها هكذا. . سحبت نفساً عميقاً وحاولت مجدداً:

ـ لقد أخطأت. . ألا ترى. . لو أنني من ذلك النوع من الفتيات، لما اهتممت أبداً بما تظنه بي، ولتابعت التصرف على هواي.

ضاقت عيناه، وتمتم كمن يفكر بوجهة نظر:

ـ ربما. . لكنني أنا مخرج هذا الفيلم. . وهذا ما لم تدركيه يوم الاختبار.

تنهدت أسينا. . رغبت في أن تكلمه بغضب، منكرة كلماته. . لكن كلماته لامست وتراً حساساً فيها. . هل كانت ستتصرف بتلك الطريقة لو عرفت أنه المخرج؟ أفقدتها الفكرة توازنها كلياً. . أحنت رأسها، فتساقط شعرها الناعم حول وجهها. .

وافقت على مضض: «هذا صحيح».

وأخذت تقضم أسفل شفتها تحس بالغباء.

ـ أخيراً اعترفت آنسة لورد؟

لأن رده جاء لطيفاً بشكل مخادع ارتفع رأسها بحدة. . كان ينظر إليها بعينين بارقتين وكانت شفتاه منبسطتين في ابتسامة لطيفة ساخرة:

ـ لا تخيبي أملي. . واثق أنه ليس من عادتك ترك السباق عند أول حاجز.

ارتفع ذقنها، فلمعت عيناها الخضراوان:

ـ أعرف أنني كنت صيداً سهلاً لك هذا المساء سيد ستون. . لكن في المرة القادمة، اختر شخصاً من حجمك. . أنت تتعمد الإساءة لي لأنك تعلم أني لا أستطيع أن أرد.

www.elromancia.com

كان الغضب هو دفاعها الوحيد.. ولكنها تعرف أن ابتسامة صغيرة منه، ستذيب كل غضبها.. وكان قلبها يخفق بسرعة بحيث باتت غير قادرة على سحب أنفاسها كما يجب.

ارتدت عنه.. تنوي الابتعاد.. لكنه أمسك ذراعها، وأرجعها إلى الوراء، متمتماً:

ـ لم أكن منصفاً بحقك.. أعتذر.. لا أعرف ما إذا كنت تقولين الحقيقة أم لا.. لكنني أعرف أنني لو مضيت في المعركة.. فقد يقتل هذا الفيلم.. وفي هذه اللحظات «عروس محطم السفن» هو همي الوحيد.

مد لها يده: «أقترح عقد معاهدة هدنة.. على الأقل حتى انتهاء الفيلم».

ماذا يمكنها أن تفعل؟ كانت تأمل بأكثر من هذا.. أكثر بكثير، أرادت أن يصدقها، كما صدقها هيوغ وأملت أن يثق بها، ولكنها لم تفعل شيئاً لتستحقها.. سحبت نفساً عميقاً، ووضعت يدها في يده، ترد على شد أصابعه الباردة القاسية، محاولة بجهد ألا ترتجف يدها.. إنه يعطيها فرصة.. وهذا أكثر مما توقعت في مثل هذا الوقت.

نامت أسينا نوماً سيئاً تلك الليلة. فلم يكن الفراش مألوفاً، ولم تستطع أن تستريح.. وأخذت تتقلب وتتلوى حتى وقت متقدم من الليل.. وفي الصباح استيقظت باكراً على صوت النورس.. فنهضت من السرير مثقلة العينين من النعاس.. لكنه صباح جميل.. وما إن فتحت الستائر، حتى أحست بروحها المعنوية تعود إليها. كانت الشمس مشرقة، والبحر وراء الرأس الصخري أزرق قاتم.

فجأة شعرت بالحماس.. فشكوك الأمس ومخاوفه كانت وهمية.. تذكرت حديثها مع المخرج، فعمّ الأمل قلبها.. لقد اقترح عليها هدنة.. وهذه بداية قد تبني عليها أشياء كثيرة.

ارتدت بسرعة سروالاً من الجينز وكنزة ثم قامت بالعمل الصباحي المعتاد بسرعة لذا وصلت إلى غرفة الطعام، قبل أن يصلها أحد بوقت طويل.

فتناولت الفطور وحدها.. تقدمت إلى النافذة وهي تحمل فنجان القهوة وراحت تمتّع البصر بمنظر البحر الأزرق، على بعد شريط أصفر من الرمال..

أنهت قهوتها وخرجت من غرفة الطعام تنوي العودة إلى غرفتها بطريق دائري.. كانت تتوق إلى الاستكشاف.. فالمنزل القديم ساحر.. فيه الكثير من الأدراج الصغيرة والغرف الغريبة.. الليلة الماضية كانت مشغولة كثيراً فلم تلاحظ ما حولها.. وسارت وعيناها تتأملان كل ما له أهمية.

بدا لها أن الممر المكسو الجدران بالخشب، يمضي إلى ما لا نهاية.. أخيراً دخلت ردهة المدخل الرئيسية، وتباطأت خطواتها وهي تنظر حولها مذهولة بروعة ما يحيط بها.

طراز غرفة نومها العملي خيّب أملها.. لكنها لم تجد هنا أثراً للقرن العشرين.. فالردهة بدت وكأنها آتية من الماضي.

تقدمت أسينا ببطء، وراحت تمرر أصابعها على إطار اللوحات مستمتعة بلمس الخشب تحت أصابعها. نظرت إلى فوق.. إنه درج ضخم رائع.. درابزينه مدعوم بعقد من الفاكهة المحفورة والأشكال الهندسية الخشبية.. وجدت أشياء جميلة كثيرة فراحت تتحرك مذهولة حتى وقفت على أطراف أصابعها أمام موقد حجرية ضخمة، تجذبها إليه لوحة مؤطرة بالذهب فوقه.

كانت اللوحة لرجل يرتدي ثياباً عسكرية، ولم يكن وسيماً.. لكن هناك في العينين الرماديتين الدافئتين، ما جذب اهتمامها وأسرها.

تمتمت بهدوء ما كتب تحت الصورة «لورد سانت كلير.. قتل في الحرب خارج البلاد».

ـ في الحروب النابوليونية، كما قيل لي.

ارتدّ رأس أسينا، واتسعت عيناها من فرط الصدمة.. فقد كادت الكلمات تكون صدى لأفكارها بالضبط تقريباً.. لكنها جاءت من صوت عميق أجش، حمل إلى وجنتيها الاحمرار وإلى قلبها الخفقات.. نظرت إلى غارث ستون بذهول ورهبة.. تتساءل لماذا يستجيب جسمها بعنف لوجوده..

تقدم ببطء وأضاف وهو يرفع حاجباً ساخراً:

ـ ما بالك آنسة لورد.. هل رأيت شبحاً أم أن القطة أكلت لسانك؟.

ـ لقد أجفلتني.. كنت أتساءل في أي معركة قتل اللورد سانت كلير، ثم تكلمت أنت.. فأجفلت.. هذا كل شيء.

كان صوتها أجشّ، لكنها كانت فخورة بنفسها لأنها سيطرت على أعصابها المتوترة.

أرجع رأسه إلى الوراء، فبانت خطوط عنقه السمراء القوية، ولأن عينيه كانتا على اللوحة استغلت أسينا تلك اللحظة ونظرت إليه بحريتها.. كان رائعاً.. ولم تكن ترغب أن ترى جاذبيته، لكنها لم تستطع منع نفسها.

ما إن ارتدّ حتى سارعت إلى غض طرفها وأظهرت أنها مهتمة بتأمل الحجارة الرمادية المتآكلة عند قدميها.

تمتم بصوت لطيف: «وهل توصلت إلى أي استنتاج آنسة لورد؟ بشأن اللورد سانت كلير ومعركته النهائية؟ قلت إنك كنت تفكرين في هذا حين تكلمت».

لقد ظن أنها كانت تتظاهر بالاهتمام وأنها لم تكن تشعر حقاً به.. وهو يتعمد الآن الإيقاع بها.. إذا كان هذا ظنه بالهدنة، فهذا لا يعجبها أبداً.

ـ من التاريخ الموجود على اللوحة، أستطيع القول إنه مات في معركة النيل.

اتسعت عيناه وهز رأسه إيجاباً، أما هي فشعرت بالسرور.

ـ أنت على حق آنسة لورد.. فإضافة إلى الجمال تملكين العقل.. أنت تدهشينني فلم أظن أنك تهتمين بالتاريخ.

ربما كانت حساسة أكثر من اللازم، وقرأت الإهانة في كلماته.

ـ إنه لا يهمني كما تقول.. الواقع أنني أجهل التاريخ بشكل عام، خاصة حروب نابليون.. ما هذه إلا ضربة حظ.. وأنا واثقة أن ما قلته يجعلك تشعر بأنك أفضل.. والآن هلاّ عذرتني، فلدي أشياء أخرى أقوم بها.

ارتدّت بحدة غاضبة، لكن، وكما فعل مرة من قبل، مد يده التي

أمسكت بمعصمها.

صاحت: «دعني أذهب!»

هز رأسه نفياً: «لا.. انتظري دقيقة. أريد أن أعتذر».

كان جسدها كله يرتجف من الغضب.

ـ يبدو أنني سمعت مثل هذا الكلام من قبل.. وما أسهل الاعتذار عندك سيد ستون.. ولكنني لا أصدق أن الاعتذار يعني لك شيئاً.

ـ معك حق آنسة لورد.

وحاولت مجدداً جذب يدها منه، لكنه لم يتركها..

قالت مجدداً: «دعني أذهب».

ابتسم لها ابتسامة كبيرة ساحرة غزت معدتها فقلبتها رأساً على عقب.

تمتم برقة: «لا ألومك لأنك ترغبين في قطع رأسي.. وأدرك أنني لم أكن لبقاً. لدي لسان لا يهتم بشيء، وفم كبير أحياناً.. ولكن صدقيني، لم أكن أريد تكديرك».

سمعت أسينا من ورائها باباً ينفتح، وينغلق ثانية.. لكنها لم تدر رأسها.. بل تجمدت في موضعها وعيناها مسمرتان على المخرج.

ابتسم مجدداً: «أما زالت الهدنة قائمة؟ أم لعلني ما زلت دون حظوة عندك؟»

أرادت أسينا أن تكون غاضبة.. لكنها لم تستطع مقاومة ابتسامته، وأحست بشفتيها تتحركان استجابة له.. وقالت:

ـ ربما أنا حساسة أكثر من اللازم.

ـ كنت أتصرف بأسوأ طريقة.

هذا صحيح.. ولكن صعب عليها أن تصدق هذا الغارث ستون الجديد المبتسم.. ولم تستطع أن تأمل بأن يغير رأيه بها بسرعة.. ولا بد أن ما يظهره لها الآن مجرد تمثيلية.. لكن سواء أكانت تمثيلية أم لا، كانت تعرف أنها لا تريد أن تنتهي.

أطرقت برأسها قائلة:

www.elromancia.com

ـ أنا آسفة . . ربما هذا صحيح .

رفع يده ينظر إلى ساعته :

ـ الواضح أنك مهتمة بالمنزل . . فهل تسمحين لي أن أعوض لك عن تكديرك بأن أكون مرشدك في المنزل؟

عرفت أن عليها على الأقل أن تتردد . . لكنها سمعت نفسها تقول :

ـ أحب أن أتفرج عليه . . ولطف منك أن تعرض عليّ جولة!

ابتسم : «عظيم . . أين سنبدأ؟ هل لديك أفضليات؟»

بدا بالفعل راضياً لقبولها عرضه، لكنها لم تستطع أخذ تغييره لرأيه فيها على محمل الجد . بقيت تنظر إليه وهما يجولان . . تتساءل ماذا يجول في رأسه . . لكنها بالتدريج استرخت . . وكان المنزل جميلاً، وصوت المخرج الأجش كالمخدر لأحاسيسها، وما إن انتهت الجولة حتى أصبحت مفتونة به كلياً . . وكانت مجذوبة كثيراً بتلاعب المشاعر على وجهه، بقدر ما جذبها الأثاث الأثري واللوحات المعروضة في المنزل العتيق .

أخيراً توقفا أمام مكتبته . . وسألها مبتسماً ابتسامة دافئة توقف القلب :

«هل أضجرتك؟»

هزت رأسها نفياً . . وحاولت قدر الإمكان ألا تظهر مدى اضطرابها لوقوفها معه هنا هكذا .

ـ لقد استمتعت .

وهذا ما لم يعط ما تشعر به حقه . . لقد تمكنت من إزالة صورة غاوث ستون القديمة فخلف العينين الزرقاوين اليوم فتنة ومرح . . ومن يعرف أفضل منها أنهما قد تلتهبان بالغضب! لكن الصورة الجديدة كانت قوية بحيث لم تعد تتذكر الأخرى . .

أضافت صادقة :

ـ لقد جعلت الجولة مثيرة للاهتمام . . من الإحباط العيش في منزل كهذا دون معرفة شيء عن تاريخه . . قبل أن أجيء إلى هنا اقترضت بعض الكتب عن كرونويل من المكتبة . . لكنني لم أجد كلمة عن «أردونيان ماينر» فيها .

صمتت تعض شفتها . . إنها تتكلم كثيراً، لكنها لا تستطيع الوقوف صامتة، خاصة وهو يراقبها .

قال : لدي كتابان عن المنطقة في المكتبة . . أترغبين في الدخول والاطلاع عليهما؟

ـ لا يمكن أن أزعجك هكذا .

ـ لا إزعاج أبداً . . أدخلي للحظات وسأجدها لك بسهولة .

فتح الباب لتتقدمه إلى الداخل، ووقف على مقربة شديدة منها بحيث أن ذراعها لامست صدره وهي تمر به . . ورحبت بتلك اللمسة . ولكنها نهرت نفسها على غبائها فصحيح أنه جذاب بشكل خطر حين يكون بمثل هذا المزاج . . إنما عليها أن تأخذ جانب الحيطة والحذر .

وقفت قرب الباب، وراحت تراقبه بعينين مضطربتين وهو يبحث في أدراج منضدة ضخمة، تحتل زاوية من الغرفة . . تسللت الشمس بخيوط ذهبية من الستائر، ووقعت على شعره الأسود فخضبته بلون خفي . . ولحقت عيناها بشعاع الشمس المسترسل إلى المقعد الجلدي وإلى الأرض اللماعة البراقة كالجواهر . . لكنها عادت تنظر إليه . . فلماذا يبدي كل هذا اللطف لها؟ إنها لا تفهم السبب . وأخذ تفكيرها يدور ويدور، يستكشف السؤال القديم عينه . . وكأنه اسطوانة علقت في شق، ولا تزال بعيدة جداً عن إيجاد المراد .

أخيراً رفع رأسه، والرضا في صوته :

ـ هاهما . . اقرئيهما، وانظري ما سيكون رأيك . كلاهما مدون بخط اليد وقد كتبهما قساوسة محليون ولكن اللغة صعبة على الفهم في بعض الأماكن . . وإن تعرضت إلى شيء كهذا فاتركي المقاطع التي لا تهمك .

اضطرت إلى ترك مكانها قرب الباب، وتقدمت إلى الداخل بساقين مرتعشتين :

ـ شكراً لك، سأعيدهما في أسرع وقت ممكن .

ـ خذي وقتك . . أعتقد أنني سأكون مشغولاً جداً في الشهرين القادمين بحيث لا أحتاجهما .

www.elromancia.com

سار حول المنضدة، وجلس على زاويتها المصقولة، ثم قال مبتسماً:

ـ أحياناً، أظن أنني فقدت عقلي لمجرد بقائي في هذه المهنة.. لقد أنتجت فقط ثلاثة أفلام جيدة.. درّت عليّ وعلى الشركة ربحاً وفيراً.. ولكن إذا أخفق هذا، فالنقاد والشركة معاً سيرفسونني دون أن يخزهم ضمير.

أحست أسينا بدوار.. كان خدّاها متوردين.. وعيناها الخضراوان متسعتين ذهولاً.. لم تستطع أن تصدق أن هذا يحدث لها. إنها تقف هنا في المكتبة تتبادل أحاديث ودودة مع غارث ستون.. أحست أن عليها أن تقرص نفسها لتتأكد أنها فعلاً في يقظة.

قالت: «واثقة أن الفيلم سينجح.. السيناريو رائع».

ـ ليتك تكونين على صواب.. لكن لا تقلقي، سيصلك أجرك على أي حال.

وابتسم ممازحاً أما هي فسارعت تقول:

ـ لست قلقة، بل مرعوبة.. فلم أشارك قط في فيلم.. وأخشى أن أفشل.

هز رأسه: «ماذا أستطيع القول لأقنعك.. لا داعي أبداً للقلق. إن تصوير فيلم لا يختلف عن التمثيل المسرحي ولكن في الأفلام الكاميرات ستكون الجمهور.. ولن تتلقي التصفيق المجنون بالتأكيد.. لكنهم لن يلقوا عليك الطماطم كذلك. وإن طلبت مرة إعادة المشهد، فهذا لا يعني أنني لم أعجب بالمحاولة الأولى».

قالت له: «أصاب دائماً بخوف من المسرح.. وما إن أتم أول مشهد بنجاح، حتى أشعر بأنني أفضل حالاً».

أنبأها عقلها أنها حمقاء لأنها تحادثه بهذا الشكل..

طقطقت المنضدة وهو ينحني إلى الأمام ليؤكد كلامه:

ـ لا تدعي ذلك يقلقك كثيراً.. فهذا لا يختلف في الأساس عن أول ظهور لك على المسرح.

اختنقت أسينا تحاول إخفاء ضحكتها.. فراقبها بوجه جامد وارتفع

حاجباه:

ـ هل قلت ما هو غلط؟

هزت رأسها نفياً: «أسفة إن أظهرت لك فظاظتي.. ولكن صدقني أن عرضي المسرحي الأول كان كارثة.. لم تكن الغلطة غلطتي بل كان المنتجون رهيبين إذ كان همهم التوفير».

رفعت بصرها إليه بسرعة.. فنظر إليها بجد وبعينين باردتين، وجدت أن عليها أن تخبره القصة الكاملة، ليفهم السبب الذي يدفعها إلى الضحك.

ـ كنت عديمة الخبرة.. ولو كنت أعرف أكثر لتجنبت الوقوع في الفخ.. وعلى الأرجح لتجنبت الإنتاج كله، لكنني لم أجد فيه مشكلة.

صمتت لحظة تبتسم لنفسها، تتذكر كم كانت ساذجة..

ـ كان الأجر سيئاً أكثر من الإنتاج عينه لكنها كانت فرصتي وكنت واثقة أنني على طريق النجومية.

توقفت قليلاً ثم أردفت بهدوء: «كنت في المشهد الأول.. وكان دوراً صغيراً. كان عليّ أن أدخل إلى المسرح وأغلق الباب خلفي.. لكن لسوء حظي كان الديكور قديماً متهاوياً.. وبدأ الموقع يبطء يتهاوى عليّ».

بدت الصدمة على غارث: «يا إلهي!»

وأغرقت أسينا بالضحك.. ربما لم يكن هذا حكيماً نظراً لظروفها.. لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها. كان الضحك يتفاعل في داخلها ويرفض أن يهدأ.. ولم يكن هذا مضحكاً يومذاك ولكن وهي تستذكر ما حدث تشعر بأن في الأمر ما هو مثير للضحك.

سألها غارث: «وماذا فعلت؟»

سيطرت أسينا على ضحكها بجهد كبير:

ـ دفعني واقع الحفاظ على نفسي، إلى إسناد الجدار بيديّ ورحت أدفعه بأكثر مما أستطيع، لكن وزنه كان طناً، وكانت ركبتاي تتهاويان.. لحسن الحظ شاهد البطل ما وقعت فيه من الصعوبات فأسرع نحوي وهو يرتجل الكلام طوال الطريق.

نظرت أسينا إلى الأرض وانفجرت بالضحك مرة أخرى وقد تذكرت الذعر الذي علا وجه الممثل بعدما أدرك ما حدث.

ـ أمضينا المشهد كله نسند الجدار، ونحاول قول دورينا وسط عاصفة من الضحك من الجمهور.

أخذ غارث يشاطرها الضحك وكانت عيناه شديدتي الزرقة تتطلعان بإعجاب غير مكبوح إلى قسمات أسينا المعبرة.

قالت: «قالت لي روان، شريكتي في الشقة، إنها لم ترَ قطّ مشهداً مثيراً للضحك كهذا».

طوى ذراعيه على صدره وقال ضاحكاً:

ـ أراهن على هذا.. من كان المخرج.. أم عليّ ألا أسأل؟

قالت له وهي ترفع حاجبيها متسائلة فهز رأسه:

ـ لا.. لا أعتقد أنني أعرفه.. وحمداً لله.

ـ أظنه يدرّس الدراما الآن.

ابتسم: «يا للطلاب المساكين! فعلى الأقل لن تواجهي مشاكل مع المشاهد هنا».

ابتسمت موافقة لكن ردها لم يسمع.. فقد انفتح الباب ودخلت ميريام سينكلير إلى الغرفة. وأسرعت تعانقه بحرارة.. ولكن عينيها الزرقاوين بدتا حادتين وهما تنتقلان من أحدهما إلى الآخر، وعلى شفتيها ابتسامة مشرقة.

ـ حبيبي ها أنت هنا! كنت أبحث في كل مكان عنك.. أليس المكان هنا حميماً؟

ران صمت كامل في الغرفة.. واحمر وجه أسينا بشدة.. فميريام تهدف إلى إشعارها بالذنب، وهذا أمر سخيف.. المخرج كان يتكلم معها فقط.. وهذا كل شيء.. تطلعت ميريام إليه، وابتسمت مجدداً:

ـ هل قطعت عليكما شيء.. قل لي إذا كنت قاطعتكما وسأخرج فوراً.

قال وقد تحولت بسمته إلى تجهم: «لا داعي.. أنا والآنسة لورد انتهينا».

ابتسمت ميريام، وقالت بصوت فيه شيء من التأنيب:

ـ حبيبي.. آنسة لورد؟ يا للرسمية! ولكن هذا النداء قديم الطراز فالجميع يستخدمون الأسماء الأولى هذه الأيام، واسم أسينا اسم غريب جذاب.. وأنا من جهتي أنوي استخدامه.

ما زالت يداها قابعتين حول ذراعه بخفة، والتفتت تبتسم لأسينا، ولكن الدفء لم يصل إلى عينيها:

ـ هذا إذا سمحت لي، عزيزتي؟ يجب أن تردي المديح وتناديني ميريام.

ابتسمت أسينا بضعف: «هذا لطف منك. وبالطبع يمكنك مناداتي أسينا بالتأكيد..»

كانت ميريام تبتسم، لكن هذا لم يخدع أسينا فمنذ دخلت إلى الغرفة تغير الجو تماماً. كان هناك شيء يجري سرّاً من الصعب معرفته، وقالت أسينا لنفسها بحزم إنها لا تريد أن تعرفه.. وأخذت تتململ مترددة أما المخرج فكان ينظر إلى الأرض، وعلى وجهه تعبير سيء المزاج.

بدأت أسينا تتراجع ببطء: «هلا عذرتماني..».

رفع رأسه.. فإذا تعابيره مرسومة بدقة:

ـ حسن جداً.. سنراك فيما بعد.

ارتدت وخرجت بسرعة، تقنع نفسها أنها سعيدة للخلاص فقد تغيّر تصرف غارث ستون بسرعة، ولم تكن تعرف كيف تفسر ما حصل. إنها مشوشة كلياً، لكنها لن تحصل على فرصة لتعرفه بشكل أفضل.. وميريام ستتأكد من هذا.. غارث ملك لها.. لقد علقت اليافطة عليه هذا الصباح بشكل بارز.. السؤال الوحيد الذي يبقى: هل يعرف أن اليافطة موجودة؟

***

٥ ـ في غابة المشاعر

سار الأسبوعان التاليان في روتين ثابت بالنسبة لأسينا.. معظم الوقت عمل ومزيد من العمل.. كان التدريب والتصوير رفيق معظم ساعات النهار وما إن تحل الساعة السادسة والنصف من كل مساء حتى تصبح مرهقة، وما إن ينتهي العشاء وتعيد قراءة السيناريو لدورها في اليوم التالي، حتى لا تعود راغبة إلا في تسلق الدرج والارتماء على السرير.. كان الجميع يشكون من الإرهاق.. الشخص الوحيد الذي لم يكن يبدي شيئاً هو المخرج الذي لم يكن يتعب فقد كان يوجّه الممثلين، ويشرف على التدريب، ويتعامل مع كل مشكلة بحيوية فائقة.

راقبته أسينا الآن وهو يناقش المشهد التالي مع مدير التصوير.. وكان المنتج متعالياً أيضاً، ينحني مع المخرج ومدير التصوير، وفمه مضموم تركيزاً. إنه رجل ضخم، طوله يزيد عن المترين.. ولكن غارث هو الذي كان يجذب العين.. فيه قوة مميزة وجاذبية فولاذية لا يملكها تشارلز بلاكني، المنتج.

جلست أسينا على مقعد عليه وسائد مريحة، متوارية عن الأنظار جزئياً. ولكنها غيرت وضعها قليلاً، وجذبت ساقيها تحتها لأنها تريد أن ترى دون أن يراها أحد.. في كل مرة كانت ترى غارث فيها، كان يشدّ بعينيها إليه وكأنه مغناطيس، حتى ولو لم يكن في مجال نظرها، تبدو أفكارها تتجه إليه دون صعوبة.. كان لطيفاً معها ويساعدها بطريقة لم تتمكن من تصديقها.. مع أنها توقعت أن يتغير تصرفه معها بعد دخول ميريام إلى المكتبة، ووجدتهما

معاً.. لكن هذا لم يحدث.

اليوم بالذات، أخذها جانباً، وسراً، فيما الجميع يتناول القهوة.. وتمتم وهو ينظر إلى عمق عينيها:

ـ لا تلعبي دور فرانسواز بمثل هذه القوة في هذه المرحلة.. قد تصبح وتخربش، لكن هذا لا يحدث في هذا المشهد بالذات.. لأنها ليست واثقة بعد من دوافع أيرول.. لذا العبي الدور بهدوء أسينا.

هزت أسينا رأسها إيجاباً، وكبتت الرغبة في ضحكة هستيرية.. إنها نصيحة جيدة، ولكنها تثير السخرية لأن غارث من يقولها.. ويجب أن تلعب لعبتها بهدوء، فقد بدأ غارث يؤثر فيها.. وهي كفرانسواز لا تعرف أي شيء عن دوافعه.. هناك في رأسها تدور أسئلة عديدة لا تعرف لها رداً.. أين دور ميريام في هذا؟ إنها تحبه، لكن هل يحبها؟ ليس لديها أية فكرة، وتشك أن تعرف شيئاً حين تترك «أردونيان ماينر» بعد شهرين ونصف.

مر أسبوع آخر قبل أن تتمكن أسينا من قضاء أمسية بعيداً عن منزل المزرعة.. حين دعاها برايان للعشاء معه في المطعم التابع لفندق القرية، تمسكت بالفرصة.. فقد أدركت أنها غرقت كثيراً في دورها، وبدأت تحس أن فرانسواز جزء منها.. وأخافها هذا كذلك.. كانت قد اتصلت بأمها في أميركا، واتصلت بروان مرتين، لكنها أدركت وهي تكلمهما أنهما من عالم آخر.. أصغت إلى أخبارهما، وردت بما هو مناسب، لكن هذا كله لم يعن كثيراً لها، وكأنهما جزء من عالم خيالي.. فقد أصبحت القصة والمشاركين فيها هي الحقيقة الوحيدة لها.

أقنعت نفسها أنها عملت بجهد لذا لا بأس أن تقضي ليلة برفقة برايان المرح.. مجرد فكرة الهرب لبضع ساعات، جعلتها خفيفة وأخذت تدندن وهي تضع اللمسات الأخيرة على تبرجها.

ارتجفت فجأة.. فمع أنهم في نيسان إلا أن الجو بارد.. قماش فستانها الأزرق لم يكن يوفر لها ما يكفي من حماية. نظرت إلى الفستان.. إنه رداء يشبه العباءة وهو أنيق، ومعه وشاح يضفي على جسمها طولاً، وجواً ناعماً،

لكنها بدأت تتمنى لو ارتدت شيئاً آخر.. فسيارة برايان ليست «رولز» ولسوف تتجمد على الأرجح فيها قبل أن تصل إلى الفندق.. ترددت لحظة، ثم حملت حقيبة السهرة وتركت غرفتها.

كان برايان ينتظر في فناء المنزل حين نزلت. وكان محرك سيارته يهدر بصوت منخفض.. وما إن رآها حتى سارع يساعدها على الصعود ثم ارتدّ ينضمّ إليها.

ابتسم: «أنت جميلة أسينا.. سيموت الآخرين غيرة».

توردت وجنتاها.. لكنها اتخذت وضعاً مبالغاً فيه لتغطي حرجها.

ـ سمني فقط.. كليوباترا.

أمال رأسه جانباً: «كليوباترا لورد.. حسناً.. اسم له رنين غير عادي».

ضحكت أسينا، وأسندت ظهرها في مقعدها تتحضر للاستمتاع بالأمسية.. من الرائع أن تخرج مع برايان. فمعه تستطيع الاسترخاء، وتستطيع أن تكون نفسها، دون القلق على الانطباع الذي يمكن أن تظهره.. ضحكا وتحدثا طوال الطريق إلى القرية.. ولكنها كانت تدير رأسها متعمدة عن الوديان المرعبة التي يمران بها.. لم تكن الطريق بعيدة إلى القرية حيث يقع الفندق في وسطها..

أوقف السيارة في فناء مرصوف بالحصى. وأمسك برايان ذراع أسينا لأنها كانت تسير على الممر المرصوف بالحصى. كان المبنى ضخماً مطلياً بالأبيض.. بدا دافئاً، مرحباً تتعالى منه روائح الطبخ الشهية.

كانت وجبة الطعام لذيذة: سمكاً طازجاً، ولحماً، وخضاراً طازجة.. ولأن معنويات برايان المرحة كانت مرتفعة، أغرقت أسينا بالضحك ولكثرة ما ضحكا جذبا العيون إلى طاولتهما.. ظلّ شعرها البرونزي الأحمر، وعيناها الخضراوان البارقتان يشدّان الاهتمام حتى بعدما انتهى الضحك.. تناولا القهوة على الطاولة، ثم انضما إلى بعض الممثلين في الفيلم في المقهى الملاصق للمطعم.. ترددت أسينا في البداية.. فقد كانوا مجموعة ضاحكة صاخبة

يتجمعون حول طاولة صغيرة، وخشيت ألا يرغبوا فيها بينهم.

ارتدّ جايكس كيليان الذي يمثل دور أحد سكان القرية، وشاهدهما، فلوح لهما، لذا لم يعد هناك مجال للتراجع.

ـ برايان.. أسينا، تعاليا للانضمام إلينا.

استقبلا بصيحات ملؤها الود.. وتحرك الجميع حول الطاولة لإفساح المجال لجلوسهما..

جلست أسينا بهدوء بين برايان وجايكس، وفي عينيها ابتسامة وهي تصغي إلى المزاح الدائر حولها.. لا عجب أنها كانت تشعر بالكآبة.. فهذا ما كانت تفتقده.. إنها وحيدة في منزل المزرعة، وتحتاج إلى من هم بمثل عمرها لتبقي قدميها على الأرض.

قال أحدهم: يا إلهي!.. كدت أموت! كنت شبه عارية في الغرفة حين دخلها بيتر كويهام.

كانت أسينا ضائعة في أفكارها حين لفت صوت ضاحك اهتمامها.. وتفرست عيناها بصاحب الصوت متسلية.. فطالما دفعتها جودي راينجر إلى الابتسام.. فقسمات الفتاة غلط بغلط.. كل شيء فيها كبير بالنسبة لوجهها الصغير.. لكن، كان في العينين البنيتين الكثير من الدفء والذكاء.

كان جايكس يضحك أيضاً.. وغمز أسينا:

ـ لا بد أنه تذمر.. أليس كذلك جودي؟ ماذا قال؟ منظر مقرف؟.. أبعدوا هذه المرأة من الغرفة فوراً.

وقلد بيتر كويهام بنجاح، ثم أخفض رأسه غريزياً ليحمي نفسه من علبة سكائر قذفته بها جودي. وهزت رأسها، ثم تحول غضبها بالتدريج إلى ضحك:

ـ آه!.. أنت.. في الواقع وقف حيث هو، يتفرج على كل شيء.. أما أنا فكنت أتمسك بمنشفة صغيرة حول وسطي.. ثم قال: «حبيبتي كم هذا مبهج للنظر» وبتلك الطريقة المثيرة، انصبت عيناه على جسمي كالمجنون وقال: «تناولي العشاء معي الليلة».

شاركت أسينا الجميع الضحك، لكنها صدقت رواية جودي، فمعروف في الشركة أن بيتر كويهام زير نساء وهي نفسها رأت ذلك.. فمنذ وصلت أسينا إلى هنا طلب منها الخروج معه للعشاء، وأرسل لها الزهور ولكنها خذلته فغضب.. إنما من المستحيل أن تخرج معه فهو متزوج، وزوجته تتصل بالمنزل كل يوم دون انقطاع..

كانت جودي تتوسع في الحديث عن بيتر كويهام، لكن جايكس لم يكن ينوي تركها تنجو بما تقول وانتظر حتى صمتت لتأخذ نفساً، وابتسم:

ـ وماذا قلت عندما غازلك هذا الغزل المزعج؟ أقلت له: هل تريد أن أضع أسناني الزائفة، أم أتركها؟ وماذا عن الساق الخشبية، هل ستعترض طريقك؟

كشرت جودي وجهها:

ـ أعد إليّ علبة الدخان جايكس كيليان في الحال، لأرميك بها مجدداً.

ـ لا أستطيع لقد دخنتها كلها.

أظهر لها العلبة قبل أن يجعدها ويرميها في سلة المهملات.. وتطلع إلى وجهها ثم عاد يضحك ثانية وفي عينيه الزرقاوين تسلية:

ـ حسناً.. اتركي شعرك مكانه جودي.

فتش في جيبه وأخرج جنيهاً مرره لها:

ـ اذهبي واشتري لنفسك بعض رقاقات البطاطس، واشتري لكل واحد علبة.

انطلقت جودي في مهمتها، واسترخت أسينا وسمحت للحديث والضحك أن يمر بها مرور الكرام مرة أخرى. كانت مسرورة بهذه الصحبة وراضية.. بعد قليل سمحت لعينيها أن تجولا حول الغرفة.. ذكرتها الغرفة بأماكن أخرى جلست فيها في طول البلاد وعرضها.. مصابيح حمراء، أرض خشبية مصقولة، طاولات، بضع لوحات لا قيمة لها على جدران بلون العاج.. لكن المكان هنا كان مريحاً.

انفتح الباب، فتحركت عينا أسينا بتكاسل عليه وإذا بالاسترخاء يتبدّد

فقد دخل غارث ستون إلى الغرفة.. كان معطفه المصنوع من جلد الخروف مفتوحاً فكشف عن بذلة سوداء جميلة التفصيل تحته.. بدا مرتباً وخطيراً.. وقف في الباب مباشرة، ونظر حوله، أما هي فكانت تنظر إليه وكأنها منوّمة.. وفي هذه اللحظة انقطعت أنفاسها كلياً.

لماذا هو هنا؟ لماذا اختار هذه الليلة من بين الليالي جميعها، فهي الليلة تريد الهرب من أردونيان ومن كل من فيه.. أحست بدموع الغضب تؤلم جفنيها فأحنت رأسها لتخفيها.. وكم أملت لو يكون مجرد خيال.. لكنه لم يختف! بل العكس، فقد سار نحو طاولتهم وجودي إلى جانبه، ترفع نظرها إليه وتتابع الكلام بانفعال.

كان غارث يبتسم لها، لكن أسينا أحست أن اهتمامه مشتت. بدا وكأن له عينين في قمة رأسه المنحني، وعرفت بطريقة ما أنه يبحث عنها.. أحست أنها فأر صغير يصطاده صقر، فتقوقعت في مقعدها تحاول الهرب من تلك النظرة الخفية عندما توقف غارث وجودي أمام الطاولة عرفت أسينا دون أن تنظر أن غارث ينظر إلى قمة رأسها متفرساً.. ماذا يعني هذا؟ لماذا هو هنا؟.. هل هي حساسة أكثر من اللازم، لتتصور أنه جاء يبحث عنها؟ ربما تفسير وجوده مختلف تماماً.

دار في رأسها أسئلة كثيرة وليس هناك من يستطيع الرد عليه غيره. رفعت رأسها تريد أن تعرف.. ولكن أنفاسها علقت في حلقها، وأصبح الهواء الذي تتنشقه خشناً ومؤلماً.. فقد اشتعلت عيناه الزرقاوان في مواجهة عينيها، ولم تعد تستطيع إبعادهما. وجلب أحدهم كرسياً إضافياً جلس عليها ولكنه ظلّ يأسرها بعينيه.. ارتجفت أسينا التي كانت تحترق من فرط الاحمرار فعيناه ما فتئتا تمران بوجهها وكانتا دافئتين ساخنتين تكادان تلسعان بشرتها. وفي هذه اللحظة قفزت بينهما شرارات كهربائية.. وأخذ قلبها يضرب كالمطرقة في صدرها.

حين انتزعت نظرها منه، لم تستطع الخلاص. كان الناس حولها يضحكون ويضحكون. وكانت في عالم خاص صغير خاص بها، فقد استحوذ

www.elromancia.com

التفكير في غارث ستون عليها.. لم تكن بحاجة للهرب من «آردونيان ماينر» ولا من موضع تصوير الفيلم.. بل من غارث ستون.. الآن أدركت أن التفكير فيه كان يزداد ويزداد وأنها كانت تحاول الخلاص لكن دون جدوى.. لم تستطع أن تتحرر منه منذ لحظة التقته يوم الاختبار.. لقد لاحقها، وما زال.. فماذا يريد منها؟ ألا تكفيه ميريام سينكلير؟

كان برايان يتحدث إليها.. لكنه سرعان ما لاحظ صمت أسينا.. فمال إليها يتمتم:

ـ هل تتمتعين بالأمسية؟

رفعت أسينا عينيها، متجنبة عينيّ غارث ستون.

ـ إنها رائعة.. كانت أكثر أمسية ممتعة أمضيها منذ أجيال.. كنت بأمس الحاجة إليها.

ـ أنا وأنت.. أعرف بما تشعرين.. كلنا مرهقون.

كانا يتحدثان بصوت منخفض حميم، ورأساهما متقاربان.

أضاف ضاحكاً: «لكن ستون لا يبدو بحالة سيئة.. فجودي تكاد تزحف بين قدميه.. ولا أعتقد أن بيتر كويهام يستطيع تحمل مثل هذه المنافسة».

وعت أسينا نبرات صوت غارث العميقة الأجشة، وضحكة جودي، لكنها كانت عازمة على عدم النظر إليهما.. بدلاً من ذلك استدارت إلى برايان، وفكها مشدود:

ـ كانت أمسية رائعة.. واستمتعت فيها كثيراً.. ولكنني أشعر بالنشوش، وأحتاج إلى النوم، هل يزعجك أن تعيدني إلى المنزل؟

ابتسم: «سنذهب حالاً.. فأنت تبدين فعلاً شاحبة.. غداً هو يوم الأحد، فحاولي أخذ قسط من الراحة.. ابقي في الفراش».

دفع كرسيه ووقف:

ـ قد آتي في النهار لنخرج ونتفرج على المناظر.

ـ سيسرني هذا برايان.

كانت أسينا قد دست حقيبتها تحت المقعد وانحنت تستعيدها عندما خاطب برايان الآخرين:

ـ أسينا متعبة.. وسأعيدها إلى المنزل.

تصاعد كورس ندم وهي تقف. وقال أحدهم: «تعالي لرؤيتنا غداً».

ـ أجل.. تعالي غداً.

قال جايكس: «إن لم يصحبك برايان فأشيري إليّ إشارة وسألعب دور السائق بمنتهى السعادة».

تمتمت: «هذا لطف منك».

رد برايان: «لا ضرورة إلى هذا لأنني سأكون أكثر من سعيد لأكون سائقها متى احتاجتني أسينا».

تنهدت أسينا.. هذا سخيف.. جايكس وبرايان يتشاجران من أجلها وكأنهما عاشقان غيوران.. وهذا غير صحيح.. لم تجرؤ على النظر إلى غارث الذي تعرف ما يدور في خلده دون أن تنظر إليه.

شدت كم سترة برايان: «هل سنذهب؟»

ـ لا داعي للخروج مرة أخرى برايان..

كانت نبرة صوت المخرج حادة إلى درجة الفظاظة. فارتدت عينا أسينا إليه فإذا به واقف يزرر معطفه، وينظر إليها:

ـ أنا عائد بنفسي.. ويمكن أن أقلها.

أدارت أسينا رأسها تنظر إلى برايان بذعر. ربما هذا غباء منها ولكنها لا تريد أن تكون بمفردها مع غارث.. ففي تصرفه هذا المساء ما يخيفها وما يجعلها تشعر أنها عرضة للخطر.

فهم برايان الإشارة فوراً. فنظر إلى المخرج:

ـ لطف منك أن تعرض هذا ولكنني لا أمانع في إعادة أسينا.. فما زال الوقت مبكراً ولا داعي لترك المجموعة الآن.

ابتسمت جودي وهي تضع يدها على كمه:

ـ أجل.. ابق معنا غارث.. تناول شراباً آخر معنا. جايكس سيدفع

الحساب .
ضحك غارث ، لكنه هز رأسه بأسف :
ـ يجب أن أذهب . . سأتناول معكم ما شئتم في مرة أخرى لكن بعضنا يعمل في الغد .
تصاعدت آهات الشفقة المزيفة ، فضحك :
ـ أجل . . حياة المخرج صعبة ، أليس كذلك؟ وأنا مسرور لأنكم تتعاطفون معي .
ارتدّ إلى أسينا وحاجباه مرفوعان ووجهه قناع من السيطرة :
ـ جاهزة؟ هل نذهب؟
هزت رأسها : «أرجوك . . أنا . . »
لم تكن تعرف ما تقول . . لو اعترضت لبدت مجنونة! إنه يعرض عليها أن يقلّها ليس إلا .
ما زال برايان يحاول المساعدة : «لا مانع عندي في إيصالها إلى حيث تريد» .
تنهد غارث بوجه بارد ، وقد تلاشى كل أثر للابتسام :
ـ أعرف هذا . . لكن ما الفائدة؟ يجب أن أعود إلى المنزل على أي حال ، وهناك مكان متسع في سيارتي لاثنين .
جاءت الكلمات باترة ، تتحدى برايان أن لا يعارضه .
قالت أسينا : «شكراً لك . . لطف منك أن تعرض هذا علي» .
لم تكن راغبة في التسبب بمتاعب لبرايان وقد لاحظت أن غارث بدأ يغضب . ودعت الجميع وابتسمت لبرايان ابتسامة شكر خاصة ، ثم لحقت بالمخرج إلى الخارج .
كانا في الطريق حين تكلم إليها :
ـ أنت ترتجفين .
جاء صوته منخفضاً ، حميماً ، ومن مكان قريب جداً من أذنها ، لذا قفزت مجفلة :

ـ ألم تجلبي معك معطفاً؟
ـ لا . . لم أجلبه .
ـ أنت مجنونة ، أتعرفين هذا؟ الجو زمهرير في الخارج .
شقا طريقهما بصعوبة . . ثم اقترب منها مرة أخرى :
ـ هل سمعتني؟
تابعت سيرها : «أجل . . سمعت . لكنني سأكون على ما يرام . . المسافة قصيرة إلى المنزل . . ولا أشعر بالبرد» .
صاح : «اللعنة! لا بد أن برايان مجنون مثلك ليدعك تأتين نصف عارية في ليلة كهذه» .
أحست بعينيه تجولان على كتفيها العاريتين . . برد . . ومن يشعر بالبرد؟ ليست هي بالتأكيد . . إنها تشتعل ناراً . . انطلقت شرارات من الحرارة المحمومة في شرايينها . . وكرهته لأنه استطاع أن يجعلها تحس هكذا . . لكنها كرهت نفسها أكثر . . ليتها لا تشعر بشيء حين ينظر إليها . . ليتها لا تشعر بهذا الضعف والوهن عندما يكون قربها غارث ستون .
ـ لا أصاب عادة بالبرد . . ولن أوقف إنتاج الفيلم فلا تقلق .
ماذا يحاول أن يفعل لها؟ هل يسليه أن يعبث بمشاعرها هكذا؟
وصلا إلى باب الفندق . . الذي ما إن فتحه حتى خرجت منه بسرعة ، رافعة رأسها . . تحاول وضع مسافة كبيرة بينهما . . سارت بمفردها بسرعة وكانت مستغرقة في أفكارها بحيث فوجئت حين أحست بمعطف دافىء على كتفيها . . وقفت في مكانها ، تدس نفسها بشكل لا إرادي في صوف ناعم . . وكان غارث وراءها مباشرة يمسك كتفيها .
غمتم : «هل هكذا أفضل؟»
مال إلى الأمام ليكلمها فلامس جسده القوي جسدها ، وعندئذ كادت حرارته تخترق السترة السميكة . .
همست : «أجل . . شكراً لك» .
اشتدت قبضته على كتفيها ، وشدها إلى الخلف . . وقال وأنفاسه على

عنقها:

ـ هل أنت غاضبة لأنني عرضت أن أقلّك إلى المنزل؟ ربما لم يكن هذا حكيماً.. لكنني أردت رؤيتك بمفردك.. منذ أيام وأنا أحاول التحدث إليك، لكن لم تتح لي الفرصة.

وعت أنه يتكلم، واستوعبت كلماته دون تفكير واعي.. كان قلبها يخفق بشراسة، حتى ظنته سينفجر.. نزلت يداه عن كتفيها داخل السترة المفتوحة وأطبقتا على خصرها.. كانت كلها مشاعر وكلها أحاسيس.. شعرت بأن سماء الليل تسحرها وأن النجوم تتلألأ لها فقط..

سمعا صوت باب الفندق ينفتح.. وتناهت إليهما الأصوات والضحكات.. كانت ردة فعل غارث سريعة إذ تركها بحيث تهاوت للحظات. ورحبت بيده تحت مرفقها، وهو يحثها لتسير نحو موقف السيارات.. سارا بصمت.. وفي هذا الوقت لم تجرؤ على النظر إليه.. وكانت تتساءل عما إذا كانت تتخيل أنها كانت بين ذراعيه.

وضعها في المقعد الأمامي، ثم دار حول السيارة لينضم إليها. كان جسمه القوي مسترخياً رشيقاً.. راقبته من بين أهدابها.. ماذا أفعل هنا؟.. لا بد أنني مجنونة! راقبت يديه الرشيقتين وهو يدير محرك السيارة. ولأنها لم تستطع منع نفسها من النظر إليه رفعت وجهها إليه وفي هذه المرة وجدته ينظر إليها.. ولكن التعبير الذي بدا راسخاً في أعماق عينيه أنذرها بأن عليها أن تقفز من السيارة وتهرب لتنجو بحياتها.

ـ مستعدة؟

أرسلت الكلمة البسيطة ونظرة الدفء قشعريرة خفيفة إلى ظهرها. فأطرقت موافقة دون حول ولا طول.. لم يسبق أن جعلها أحد تشعر بمثل هذه الأحاسيس، إنها كغابة برّية من المشاعر المشوشة، وغارث ستون في قلب كل واحد منها.

عندما تحركت السيارة أخيراً شقت الأنوار الأمامية القوية طريقاً في الظلمة الدامسة.. وصرت الإطارات بصوت مرتفع فوق السطح المرصوف

بالحصى، ثم انطلقت برقة نزولاً على السفح المنحدر على الطريق المهجور.

خاطرت بنظرة سريعة جانبية إليه، ثم أبعدت نظرها بسرعة.. كان يبدو قوياً صامتاً، وكأنه وحش مفترس ينتظر الوثوب. ولا شك أنها الفريسة.

ابتسم لها يسأل: «مستريحة؟»

تمتمت: «جداً.. شكراً لك».

ـ نكاد نصل.

دفعت نفسها لتنظر من النافذة:

ـ أجل.

راقبت يديه القادرتين على المقود، فتعجبت من مقدار قوتهما وعندئذ تذكرت الإحساس بهما على جسمها حين ضمها إليه.

توقفا خارج المنزل، وتكلم معها مرة أخرى:

ـ من هو برايان بالنسبة لك؟ راقبتكما في الأيام الأخيرة.. إنه متعلق بك، ولم يرغب في أن أقلّك هذه الليلة.. لماذا؟ هل يحبك؟

كان صوته هادئاً، لكنه رمى السؤال بفظاظة وكأنه مصمم على تلقي الرد.. أحست أنه صدمها بشيء في وجهها.. وأخذت تشتعل سخطاً، لقد حاول برايان مساعدتها وهي لن تدع غارث يفسد صداقتهما..

قالت وعيناها الخضراوان تنفثان ناراً:

ـ برايان متزوج.. وزوجته هي إحدى أعزّ وأقدم صديقاتي لذا يستحيل أن أفعل ما يؤذيها.

كان غارث يراقبها بوجه أبيض متجهم، لكنها لم تلاحظه.. سحبت نفساً عميقاً مرتجفاً وأضافت:

ـ أعرف تماماً ما تظنه بي سيد ستون.. ولعل تصرفاتي أعطتك العذر.. لكنني غير معتادة على إقامة علاقات مع رجال متزوجين، ولا أنوي أن أفعل هذا الآن.

رفعت قامتها كاملة: «إذا كنت ستدفع بهذه الحملة ضدي إلى استنتاج منطقي، فأقترح عليك أن تبدأ بالأفراد المشهورين في الشركة، وتتوقف عن

www.elromancia.com

اختياري أنا».

كانت غاضبة غضباً يكاد يدفعها للبكاء.. عرفت أن عليها أن تخرج من السيارة إلى الهواء النقي، قبل أن تنهار تماماً.. فكت حزام مقعدها، وفتشت بأصابع مرتجفة عن مقبض الباب ولكن ما إن أمسكت به حتى امتدت ذراع غارث تمسك خصرها بيد من حديد.

صاحت:

ـ دعني وشأني!

لكنه تجاهل مقاومتها، فأضافت:

ـ لقد أقليتني إلى المنزل كما كنت تريد.. وحظيت بفرصة في إهانتي.. والآن ارفع يديك عني!

وأخذت تقاومه بشراسة أكبر.

قال بصوت أجش منخفض:

ـ اهدئي! لن أتركك الآن.. ليس قبل أن تتاح لي فرصة مكالمتك.

رفست بقدمها محاولة إصابة ساقه، لكنها أخفقت فكانت ردة فعله أن شد قبضته عليها أكثر فأكثر.

قالت من بين أسنان مشدودة: «ألم تقصد أن تهينني؟»

ـ لم أكن أنوي هذا.. قلت لك أسينا.. أريد أن أتكلم معك.

صاحت: «حسن جداً.. أنا لا أريد أن أتكلم معك».

كان قريباً منها بحيث كانت ترى كل مسام بشرته وأحست بمزاجها يتغير، وبالغضب يموت.. وإذا لم تتخلص منه الآن فلن تفعل أبداً.. بدأت تتلوى بشراسة، فاقترب منها أكثر، ودس يده في شعرها وأمسكت أصابعه القاسية بعنقها.

شهقت بصوت مرتفع: «أنت تؤلمني!»

ـ توقفي عن المقاومة، ولن أؤذيك.

دفعته في صدره دون جدوى: «أريد أن أخرج!»

أحست بحرارة جسمه تحت راحتيها وعرفت أنه كسب المعركة مهما

قالت.

بطريقة ما أحس بإذعانها الصامت، فاسترخى:

ـ دعيني أقول ما أريد قبل أن تذهبي.. هكذا أفضل.

لامس خدها بأصابع لطيفة:

ـ أنا آسف أسينا.. حقاً.. لم أقصد إزعاجك.

كان على مقربة شديدة منها ولم يكن وجهه بعيداً عن وجهها غير إنشات.

ـ قل ما تريد قوله، ودعني أذهب.

ـ لا تغضبي.. كنت أعرف أن برايان متزوج، ولكن هذا لا يعني أنه لا ينتظر طلاقاً أو أنه منفصل عن زوجته..

عادت أصابعه إلى عنقها إنما بشكل مختلف ففي هذه المرة لم يكن في لمسته ألم.

ـ لا تظهري لي البرود أسينا.. أعرف أننا لم نتقابل كثيراً.. لكنني ظننت أننا تجاوزنا هذه الأمور.

أحست بعضلاتها تسترخي، وبرأسها يستدير بحدة لم تسيطر عليها، وكان أن تلاقت نظراتهما.

كان الظلام يعمّ السيارة، لكنها رأت عينيه تبرقان على بعد إنشات، وسمعت دقات قلبه، تماثل دقات قلبها المجنونة.. سيعانقها! معرفتها هذه كانت كالمخدر الذي غزا شرايينها.. وعندئذٍ نسيت كل شيء.. إلا حاجتها القوية إليه.

الشعاع القوي الذي اخترق السيارة فجأة أفسد السحر.. فارتدت أسينا إلى الوراء.. كانت ترتجف ولكن الضوء كان كضوء النهار، ورأت أنه بدا مصدوماً مثلها:

ـ أسينا!

مال نحوها وكأنه ينوي ضمها من جديد. لكنها تراجعت أكثر.. فقد رأت من كان يقف في الباب المفتوح.. حتى ولو لم يرَ غارث شيئاً.. كانت ميريام سينكلير، وأسينا لا تستطيع مواجهة فضيحة. دعه يتعامل مع الموقف

وحده!

مد يده.. لكنها تجنبته مجدداً وراحت تبحث عن مقبض الباب.. حين وجدته، كادت تقع إلى الخارج في توقها لأن تهرب.. كان معطفه حول كتفيها وهي تصعد الدرجات وصولاً إلى المدخل المضاء. وكانت تحس بالغضب الصامت المتدفق من ميريام. عرفت أسينا أنها اكتسبت عدواً لدوداً الليلة.. لكن هذه المعرفة كانت أبعد ما يكون عن الخوف الذي استمر في إيقاظها حتى ساعات متأخرة من الليل، ففي هذا الليل لم تكن تسمع سوى حركة دماغها المشوشة المعذبة، وهي تحاول أن تفهم شيئاً من تصرف غارث ستون المحيّر.

***

٦ ـ عناق الجنون

أحست في الصباح التالي بالرهبة.. كانت ظلال كبيرة تظلل عينيها.. وبدت بشرتها شاحبة.. كل عصب فيها يصرخ ألا تؤدي وظيفتها بعد الآن.. لكنها جرّت نفسها خارج السرير، ووقفت وقتاً طويلاً تحت الدوش، تسمح للرذاذ البارد أن يغسل بعضاً من توترها.. لقد أمضت نصف الليل قلقة ولكن هذا القلق لم يوصلها إلى أي مكان.. كانت أفكارها مختلطة، ولكنها رفضت أن تعذبها.

تخلت عن الفطور.. فمجرد التفكير في الطعام يُشعرها بالغثيان.. بدلاً من هذا، أعدّت لنفسها فنجان قهوة، وأخذت ترتشفه ببطء وهي واقفة تحدق إلى الخارج.. كانت السماء زرقاء، فيها بعض الغيوم البيضاء. فجأة، أحست بشوق كبير للخروج إلى العراء.. بدت جدران البيت العتيق تطبق عليها.. إنها بحاجة إلى الهواء النقي، وإلى التمرين.

ما إن قررت هذا حتى سارعت تستعد. ارتدت جينزاً قديماً وتيشيرت فوقه سترة صوفية لتبعد عنها هواء البحر، وسرعان ما أصبحت بعيدة عن المنزل.. تسير على الشاطىء، والريح ترفع شعرها.

سارت بحدة.. سامحة لأفكارها بالتجوال في أي مكان إلا في العودة إلى منزل المزرعة، والقاطنين فيها.. فكرت في والديها في أميركا، وقررت أن تزورهما في أسرع وقت ممكن. ثم راحت تفكر في صديقتها روان وفي زيارتها أيضاً.

ذلك الصباح سارت أسينا أميالاً.. على الشاطىء كان هناك متجولون

www.elromancia.com

آخرون . . ولكنهم كانوا اثنين اثنين يسيرون مع الكلاب . . وثمة عائلات فيها الأولاد يتراكضون وراء آبائهم . . حيثهم أسينا بمرح وكانت روحها المعنوية الطبيعية المرتفعة تتصاعد مجدداً لأول مرة منذ أسابيع .

وخزات الجوع وحدها هي التي دفعتها أخيراً إلى العودة . . فقد ضاعف الهواء الطلق والتمرين من شهيتها الطبيعية للطعام . . لكن طريق العودة بدت طويلة وكأنها شريط لا نهاية له ، وكانت خطواتها تتهاوى قبل وقت طويل من وصولها إلى قمة المرتفع الذي يقود إلى المنزل . . مع ذلك فقد توقفت لحظات قبل أن تنحدر نزولاً . . إلى حيث المنزل القديم الذي ما يزال يحلم تحت أشعة الشمس .

شعرت بأن البيت يرحب بها فبدأت تركض نازلة المنحدر العشبي بأقصى سرعتها . . وبعد أن دخلت لم تخفف سرعتها حتى على الدرج . . وفي خضم سرعتها كادت تصطدم برايان ولكن التصادم لم يحدث لأن يقظة برايان أنقذتهما وأجفلتها اليدان اللتان أمسكتا كتفها فصرخت مذعورة ولكن سرعان ما زال الذعر عندما رأت برايان .

ـ برايان ! حمداً لله ! للحظة أحسست بالذعر .

أنزل برايان يديه وضحك لها :

ـ هذا لا شيء نسبة لما أشعر به . لقد واجهت فجأة كبشاً أحمر الشعر ينقض عليّ انقضاضاً عند الزاوية .

ـ أنا آسفة . . لم أتوقع وجود أحد . . إنه يوم رائع ، وكنت أظن أن الجميع ترك المبنى .

وافقها برايان :

ـ من الواجب هذا إذا كان لديهم عقل يفكر . . ولهذا أنا هنا . . اعتقدت أنه سيعجبك الذهاب إلى بينزانس بعد الظهر لشرب الشاي ، مع البسكويت والكريما . . فما رأيك ؟

تأوهت أسينا :

ـ لا تقل هذا برايان ! أنت تعذبني ! إذ لم أتناول الطعام بعد ، وأكاد أموت

جوعاً .

ـ اتفقنا إذن . . سنذهب إلى بينزانس . . وسأشتري لك الغداء . . ولسوف تقدمين لي أنت الشاي والبسكويت مع الكريما في المقابل . . وقد نتمكن من التفرج على البلدة فيما بعد ، وكأننا من السواح .

تنهدت أسينا : «رائع . . »

ـ آتية معي إذن . . أسينا ؟

هزت رأسها موافقة ، تمرر يدها بشعرها الأشعث .

ـ أجل . . إذا كنت لا تمانع أن تنتظر حتى أغير ملابسي .

ـ لا أدري ما تتوقعين . . لكننا سنذهب إلى مقهى في شارع خلفي وليس إلى «الريتز» .

ضحكت أسينا :

ـ مع ذلك يجب أن أحضر حقيبتي ، وأمشط شعري .

وافقها بصوت مرح :

ـ حسناً . . أعتقد أنني سأتمكن من الانتظار .

كانت تتجه إلى غرفتها قبل أن يتوقف عن الكلام ، ولحق بها ، يمد رأسه لينظر إلى غرفة النوم .

ـ إذن ، هنا تعيشين . . ليست سيئة . .

ـ لكنها ليست مريحة أكثر من غرفتك في الفندق .

ضحك لصورتها في المرآة ، وسار إلى السرير وتمدد فوقه ووضع يديه خلف رأسه مسترخياً .

ـ لا ، غرفتك أفضل ولكن الفراش ليس سيئاً .

ارتدت تقول بلهجة جافة :

ـ تتصرف وكأنك في بيتك .

تمتم : «هم . . هذا رائع» .

بدا أكثر من مستريح وحتى القرع المفاجئ على الباب لم يزعجه .

ـ أجيبي عن الطارق لو سمحت أسينا . . أنا مشغول .

www.elromancia.com

رمته بالفرشاة التي وقعت على ساقه، فجلس وراح يصبح بمرارة فاركاً ساقه حيث أصابه الصاروخ:

ـ آه!.. هذا مؤلم.. سأنال منك لهذا.

وهددها بقبضتيه ضاحكاً.

كانت في منتصف الطريق إلى الباب، الذي فتحته وهي لا تزال ضاحكة.. وما هي إلا لحظة حتى تلاشت قدرتها على الكلام. كان غارث ستون واقفاً في عتبة الباب، وتيشيرت كحلي يزيد من إبراز عرض كتفيه.. وجينز أبيض يحدد عضلات ساقيه الطويلتين.. لكن عينيه جذبتا نظرتها المجفلة.. بدت عيناه، وقد تلاشى اللون منهما، باردتين فراحتا تنتقلان من وجهها المتورد إلى برايان المتسمر، الذي كان نصف جالسٍ ونصف مستلقٍ على السرير.

ـ أسف لأنني أزعجتك آنسة لورد.. أرى أنك مشغولة الآن.. جئت لآخذ معطفي، لكن ربما يمكن أن تتركيه مع مدبرة المنزل فيما بعد اليوم، وسآخذه منها.

نظرت إليه بعينين خضراوين ملؤهما العذاب وتمنت لو تموت، كل المشاعر والأفكار التي كانت تكبتها طوال الصباح عادت مسرعة فزادت من عذابها.. إنها منجذبة إلى غارث، وتريد أن تكون معه.. الأمر يمثل هذه البساطة.. ولكن الوقت تأخر كثيراً فنظرة واحدة إلى وجهه كافية لتخبرها أنه يظنهما عشيقين وأنه يظنها كذبت عليه بالأمس حين أنكرت هذا الواقع!

كان يراقبها وشفتاه مكورتان بقسوة وهو يرى الدموع تترقرق في عينيها. مال إلى الأمام، وقال بصوت منخفض وخشن معاً بحيث لا يسمعه سواها:

ـ أنت ممثلة ماهرة آنسة لورد.. كدت أصدقك.

ابتسم ابتسامة بغيضة:

ـ يجب أن أعتذر لأنني جئت أزورك في وقت غير مناسب، ولو عرفت أنك بحاجة إلى رجل بمثل هذا اليأس، لجئت آخذ معطفي قبل ساعتين!

عندما فهمت أسينا قصده شهقت وأخذت ألوان وجهها تجف بالتدريج،

تاركة خديها شاحبين. وارتجفت ألماً وغضباً لكلماته المهينة. وانطلقت يدها لتلامس وجهه المتجهم قبل أن تدرك ماذا تفعل.. ولو استطاعت لسحبتها، لكن فات الوقت.. راقبت بصمت مذعور يده ترتفع لتغطي وجهه حيث صفعته، وبدا جسده متوتراً ووجهه مشتعلاً غضباً.

همست متألمة: «أنا آسفة.. أنا آسفة. لم أكن أقصد هذا.. هذا صحيح.. أرجوك غارث..».

سحب نفساً خشناً كبيراً.. وهز رأسه ببطء مهدداً:

ـ لا تفعلي هذا.. أبداً.. مرة أخرى. وكوني ممتنة أن تصوير هذا الفيلم متقدم، وإلا، صدقيني، لكان هذا اليوم آخر يوم لك في العمل.

استقام فجأة، وأبعد يده عن خده الذي بدت عليه علامات أصابعها مطبوعة بوضوح بلون أحمر.. ثم عاد ليميل إليها وأجبرت نفسها أن تبقى صامدة..

قال من بين أسنانه:

ـ كلمة تحذير أخيرة.. ابتعدي عني.. ابقي بعيدة جداً.. وإلا، فالله يعلم أنني لن أكون مسؤولاً عن النتائج.

ألقى عليها نظرة أخيرة ملؤها الكراهية وارتد على عقبيه.. بعد ذهابه أقفلت أسينا الباب، وأسندت ظهرها إليه ورأسها منخفض على صدرها، تحاول السيطرة على الدموع. وكان برايان مصدوماً إلى درجة الصمت.. لكنها سمعته الآن يتقدم نحوها.. فرفعت رأسها، وأجبرت نفسها على الابتسام.. لن تترك برايان يرى الألم الذي سببه غارث لها.. لن تسمح لأحد أن يراه.. صحيح أنها مشغوفة بالرجل.. لكن كأي شغف آخر.. سيمرّ.. وفي مثل هذا الوقت من الشهر القادم ستكون نسيت هذه التجربة.

كان برايان روح اللباقة بعينها.. فكأنه أحس أنها لا تريد أن تتكلم عن زائرها غير المتوقع، وابتلع فضوله، وأخذ يراقبها بعينين متلهفتين ثم ما لبث أن حاول إلهاءها. لذا لم تتح لها فرصة التفكير في زيارة غارث، إلا بعد صعودها إلى السرير ذلك المساء.. وكمن يتمسك به المرض، أخذت تتقلب

وتتلوى.. وكان صباح الاثنين عذاباً لها.. وحتى الدوش البارد فشل في إنعاشها.. ونزلت متعثرة إلى الفطور وهي لا تزال نصف ناعسة.. في السادسة والنصف صباحاً، كان الجميع موجودين تقريباً.. ولكن الحديث كان قليلاً.. ولم يكن غارث ولا ميريام في الغرفة، وهذا ما أدخل الراحة إلى قلب أسينا التي شربت فنجان شاي، وأكلت قطعة توست.

تركت غرفة الطعام بهدوء كما دخلتها، وكانت تنوي الذهاب مباشرة إلى غرفة التبرج التي تستخدمها الفتيات لعملهن.. لكنها انجذبت بدلاً من هذا إلى النوافذ المقنطرة.. كان الصباح جميلاً، سماؤه زرقاء غسلها المطر.. وأوراق شجر البتولا الفضية خارج النافذة توشك أن تبرز أوراقها الخضراء الجديدة.. وطائر الشحرور يغرد بصوت جميل في مكان ما بين الأغصان. أصغت أسينا إليه مسحورة، وحين استدارت كان هيوغ فيلدنغ واقفاً إلى جانبها، يبتسم ابتسامة دافئة.

ردت عليه الابتسامة، لكنها تصلبت مجدداً بعد لحظة حين قال لها إن لديه رسالة من غارث.. فحاولت أن تمازحه:

ـ لا تقل لي إنه طردني من العمل.

ـ لا.. لم يصل الأمر إلى هذا الحد بعد.. في الواقع أحمل أخباراً جيدة.. يمكنك العودة لقضاء فترة الصباح في الفراش.. لقد غيرنا مواعيد التصوير اليوم، ولن نحتاج إليك حتى الساعة الخامسة.

نظرت أسينا إليه بصمت مذعور.. والتوى وجهها في تكشيرة ابتهاج زائفة، ولكنه ما لبث أن تابع يخبرها أنهم سيستغلون الطقس الربيعي الصافي لتصوير مشاهد خارجية، بما فيها مشهد الحب على قمة الصخور الذي تمثله هي مع ستان أوريون. لطالما كرهت أسينا أيام الاثنين.. لكن هذا سخيف! تركت هيوغ وصعدت إلى غرفتها، حيث غرقت في أفكار ملؤها الكآبة، فمن بين كل المشاهد في الفيلم، كان هذا المشهد هو الذي تتخوف منه كثيراً.. كان وكأنه أعلى مكان في الصخور في المنطقة.. والارتفاع مهيب مفزع، وهي لم تخبر بعد سوى برايان عن خوفها من الارتفاعات.

كان يجب أن تقول لغارث.. لكن الوقت فات الآن.. كانت دائماً تؤخر المسألة، ولأنها لم تكن تريد ما يفسد علاقتهما الهشة.. لكن تلك العلاقة تضررت بشكل لا يمكن إصلاحه.. وهي آخر شخص قد يصغي إليه غارث بتعاطف اليوم.. يجب أن تسطر على خوفها من المرتفعات بسرعة. لقد جرحها بالأمس.. وترفض أن تعطيه فرصة أخرى ليدير السكين في الجرح.

أظهرت الأنوار المسلطة من فوق خوف أسينا التي رفعت عينين متوسلتين إلى ستان أوريون، ونظراً للظروف لم يكن صعباً عليها أن تبرز تعابير التوسل.. فالذعر كان كلمة بسيطة لوصف ما تحس به.. لقد تحققت أسوأ مخاوفها ورغم النصائح التي نصحت نفسها بها طوال فترة بعد الظهر ظلت خائفة مرعوبة.. تكاد تحس بحافة الصخور، تفتح فمها على بعد إنشات منها ومن قدميها الحافيتين، ولم تستطع مقاومة نظرة أخرى إلى الخلف، وبداها تتشبثان بخوف، بكمي الثوب الخشن الذي يرتديه ستان.

ـ يا الله! ما هذا؟ موقع تصوير فيلم أم مدرسة يوم أحد للتمثيل الإيمائي؟

ضج صوت غارث الساخر في الموقع مرة أخرى.. وراقبته أسينا بعينين واسعتين مرتبكتين وهو يسير بخفة الفهد إلى دائرة الأضواء.. لم يسبق أن شاهدته غاضباً إلى هذا الحد، فجسده المتجه قليلاً إلى الأمام، كان الآن متوتراً مشدوداً كوتر القوس.. وفي أية لحظة قد يخرج هذا التوتر من عقاله..

ـ ماذا دهاك بحق الله اليوم؟ إنها المرة العاشرة التي نضطر فيها إلى تصوير اللقطة ذاتها!

كان يتوقع رداً.. لكن أسينا ظلت بكماء.. فلسانها متجمد في سقف حلقها.. ونظرت إليه دون حول ولا طول.. وكان المشهد المجنون يحفر حفراً في عقلها. والشمس الحمراء المشعة وقت المغيب غمرتهم جميعاً بوهجها الناري.. وبدا المصورون بوجوههم المتجمدة بعيدين عن دائرة الضوء.. والكاميرات ذاتها متوحشة صامتة تنتظر الأوامر لتدور ثانية.

لكن ستان لم يكن يشعر بشيء من ترددها.. وقال متذمراً:

ـ لا تنفكّ أسينا عن التمسك بي.. إنها تتمسك بي كلما حاولنا تمثيل

المشهد.

لم تلم أسينا ستان لكلامه.. فقد تحمل سلاطة لسان غارث طوال الأمسية ولا بد أنه مرهق مثلها.. والأهم أنه يلومها على هذا التأخير.

ارتد رأس غارث بحدة.. وتسلطت عيناه الزرقاوان الباردتان على أسينا مجدداً:

ـ أرى هذا بوضوح.. هل لديك عذر معقول لهذا آنسة لورد؟ ربما لديك صداع؟ أو ربما سهرت ليالي حتى وقت متأخر وهذا سيبدو لي تفسيراً محتملاً. متى نمت هذه الليلة؟ في الثانية.. الثالثة؟ ربما عليك أن تهتمي بعملك أكثر من اهتمامك بالمباهج الأخرى الخادعة.

لم تستطع أسينا النظر إليه.. لم تستطع تركه يرى كم استطاع أن يؤلمها.. ركزت عينيها في مكان ما فوق كتفه الأيسر، ونظرت إلى وجوه فريق العمل المذهولة الواقفين خلفه.. كانوا مصدومين مثلها من طريقته بالتصرف معها.. وكان هو ينظر إليها بعينين قاسيتين وينتظر أن تتكلم.. بطريقة ما أجبرت شفتيها الجافتين على التحرك لكن الكلمات التي خرجت كانت همساً أجشّ:

ـ أنا آسفة! فهذا صحيح.. إنها غلطتي.. لكنني أبذل جهدي صدقاً..

كانت عيناها تتوسلان إليه أن يتفهمها، لكنه كان عديم الرحمة، يميل إليها ويهز إصبعه:

ـ جهدك هذا لا يبدو وحيداً بما يكفي في هذه اللحظات أليس كذلك؟.. يجب أن أعترف أنني أجده صعب الفهم.. هذا مشهد حب.. وكنت أظن أن هذه المشاهد هي المفضلة عندك!

كانت تفضل تكشيرة غضب على الابتسامة التي وجهها لها..

قالت: «لا تقل هذا أرجوك.. لا تقله!»

كان الارتجاف في أطرافها يزداد سوءاً.. وكانت كراهيته تنشط مشاعرها.. ولم تعد تستطيع تحمل المزيد.. أحست بالدموع الساخنة تخز جفنيها، وعرفت أنه شاهدها.. لكن ضعفها على ما يبدو زاده غضباً.

رفع عينيه نحو السماء: «الدموع الآن.. هل تصدقون هذا؟ حباً بالله يا امرأة! من المفترض أن تكوني ممثلة محترفة، وليس فتاة بعمر السنتين!»

كان وجهه قناعاً من الغضب البارد، وعرفت أسينا أنها ستنهار كلياً.. لماذا يفعل هذا؟ إنه يمزقها إرباً.. وكأنه يريد تحطيمها.. انسكبت الدموع على خديها.. ورفعت أصابعها المرتجفة تمسحها. وكان هو واقفاً يراقبها، ويداه مشدودتان إلى جنبيه وكأنه خائف لو تركهما أن تمتدا إليها لتهزاها.

قالت بصوت مختنق: «أنا آسفة».

ـ أنت آسفة! يا إلهي.. كلنا آسفون.. صدقيني!

واجهها وتعابيره شاحبة متوترة:

ـ الآن.. اسمعي هذا.. سأعطيك فرصة واحدة وأخيرة لتمثلي هذا المشهد بشكل صحيح.. وإن لم تجيدي تمثيله..

صمت يهز رأسه بتعبير متجهم:

ـ مثليه بشكل صحيح! بشكل صحيح! وهذا كل شيء.

هطلت الدموع الآن دون رادع على وجه أسينا.. وتابعت النظر إليه، متمنية لو تنشق الأرض وتبتلعها.. ولكنه ارتدّ عنها، وكأنه لا يطيق النظر إليها أكثر.

ـ غرايغ، استدع فتاة الماكياج فوراً.. وحباً بالله! ليحضر أحد منديلاً للآنسة لورد التي توشك أن تضيف غالونين من الدموع إلى المحيط.

وابتعد.. أحست أسينا بساقيها تتهاويان تحتها ولولا وجود ستان لغاصت إلى العشب تحتها. لم يكن ستان من الناس الذين تفضلهم.. لكنها الآن، وهي تستند إليه، وكأنه خشبة خلاصها الوحيدة، أرسلت إليه نظرة شكر من عينين ما زالتا تسبحان في الدموع.

بدا خجلاً من نفسه إذ قال:

ـ هل أنت بخير.. أنا آسف.. لقد أوصلتك إلى هذا.. غير أنني لم أتوقع أن أثير مثل ردة الفعل تلك من المخرج.

ـ لم تفعل هذا.. فلا تقلق ستان..

راقب ستان محاولاتها مع المنديل للحظات ثم أخذه من يديها بنفاد صبر، يديرها لتواجه النور ثم راح يمسح الرطوبة عن وجهها.. إنه رجل وسيم، لكنه كان وحيداً.. كانت أسينا قد وضعته في لائحة غير الودودين.. لكنها بدأت الآن تغيّر رأيها.

قالت: «المشكلة هذه الليلة هي غلطتي».

وترددت قليلاً وهي تشرح له خوفها من الارتفاعات.

ـ أيتها البلهاء.. لماذا لم تقولي له هذا؟ كان سيتفهمك.

تشك أسينا في هذا.. وهزت رأسها:

ـ لا أظنه كان سيفهم أي شيء هذا المساء.

لكنها هي.. فهمت.. أو ظنت أنها فهمت.. غارث غاضب، وهذه طريقته في معاقبتها.

كان ستان ينظر من فوق كتفه إلى حيث كان يقف غارث مع هيوغ يتشاوران، ولحقت أسينا بنظرته مرغمة.. وتمتم:

ـ لا أدري أي شيطان دخل غارث اليوم.. سيضحكون عليه كثيراً لو بقي هكذا.

وضع وصول فتاة الماكياج حداً لأي كلام، وسرعان ما أصبحت أسينا هادئة سطحياً مرة أخرى، ولو أنها في الداخل كانت مضطربة.. غارث يحطمها، ويفعل هذا علناً أمام الجميع، ويجب أن تكرهه.. تريد أن تكرهه.. لكنها في الواقع لا تستطيع سوى أن تكره نفسها. فغضبه اليوم لم يغير شيئاً في نفسها.. فما زالت منجذبة له.. ومهما عاملها معاملة سيئة فستسامحه، فيكفي أن يبتسم ابتسامة واحدة حتى تضعف وتغفر له.

سرعان ما كان الجميع على استعداد لإعادة التصوير.. اقتربت أسينا إلى الموقع، بقلب غائر.. إن عاد غارث إلى سلاطة لسانه فسترتد على عقبيها وتعود إلى المنزل، واللعنة على كل العواقب.

كان ستان لا يزال قلقاً عليها.. وتمتم لها:

ـ حاولي نسيان حافة الصخور.. لقد تحركت بعيداً قدر المستطاع

ولسوف أبقى قريباً منك.. فلا تقلقي.

ابتسمت أسينا شاكرة، ورفعت نظرها إليه:

ـ شكراً ستان.. سأقوم بما في وسعي.

كانت تستطيع رؤية غارث بطرف عينها... وتكلم:

ـ حين تنتهيان تماماً من هذا الحديث الحميم فقد نستطيع أن نبدأ.

لم تحسن الراحة القصيرة طباعه كما يبدو، فقد لاحظت عيناه الشبيهتان بعيني صقر موقع ستان الجديد، فأعطاه التعليمات بلوح بيد نافدة الصبر:

ـ لقد تحركت من مكانك ستان.. اتجه بضعة إنشات إلى اليسار.

انتقل ستان من موقعه، وسأل:

ـ أليس موقعنا مناسباً هنا؟

ونظر نحو الكاميرات حيث يقف رابي بابن مدير التصوير.

لكن غارث لم يكن في مزاج يتقبل المعارضة من أي كان.. وصاح:

ـ لا.. لستما في وضع مناسب لعين! وحين تريد طرح سؤال فاطرحه عليّ وليس على المصوّر.. أنا المخرج.. مع أن الله وحده يعرف أنني في هذه اللحظات على استعداد للتخلي عن منصبي لأول أبله يرغب أن يأخذه.

لم يتحرك ستان وشدت أسينا ذراعه بخفة.. لقد حاول، وهي ممتنة له، لكن غضب غارث كان يزداد أكثر فأكثر مع مرور الدقائق.. وبقي ستان حيث هو.

ـ لن تشكل بضعة إنشات مثل هذا الفرق الكبير.

تنهدت أسينا لكن لم يسمعها أحد. كان الجميع مذهولاً بوقفة غارث ستون الفريدة من نوعها فقد كانت يداه على وركيه، فوق بنطلون الجينز، وتعابيره غاضبة يواجه عناد ستان أوريون.

قال بصوت فظ: «إن قلت إن بضعة إنشات تشكّل فرقاً.. فتأكد أنها تشكّل فرقاً».

ظلّ ستان على عناده.. وقال وهو ينظر إلى المخرج:

ـ في الواقع، أنا أخاف المرتفعات.. وسيساعدني كثيراً لو بقينا هكذا.

www.elromancia.com

تأوه غارث بصوت مرتفع . . كان أشبه بانفجار ولكن أسينا دنت خطوة إلى الأمام ما إن رأت حركة غارث، وقالت :

ـ ليس ستان الذي يخاف المرتفعات . . بل أنا!

نظر غارث إليها نظرة قاتلة . . واعتقدت أنها لم تخف قط كما خافت الآن . . لكنها لم تستطع ترك ستان ينال العقاب عنها .

ـ أنا التي أخاف المرتفعات .

رد غارث يسأل بصوت يكاد يصل إلى حافة الجنون :

ـ أتقصدين أنا صورنا هذا المشهد مراراً وتكراراً لهذا السبب . لماذا لم تخبريني؟ فلو أخبرتني لحللت الأمر منذ أول مرة أيتها الحمقاء الغبية . .

ظنت أنه سيأتي ليمسكها ويهزها، فارتدت إلى الوراء وبالتحديد إلى ما بين ذراعي ستان .

توقف غارث . . ونظر إليها بغضب عاصف وبدت أنفاسه متحشرجة .

ـ ابتعدي عن الحافة . . وليكن المشهد حميماً هذه المرة، وإلا سأغير السيناريو وأرميكما معاً خارج الفيلم!

ما إن ابتعدت أسينا عن الهوة الفاغرة الفم حتى تحسن أداءها بشكل كبير، لكن ستان كان مضطرباً بسبب جداله مع المخرج، أكثر مما يريد أن يعترف . . حتى أن أسينا استطاعت أن تعرف أن أداءه كان متصلباً، مرتبكاً، وأوقفهما غارث عندما أصبحت أصابع ستان على عنق أسينا، وصاح :

ـ اقطع! لقد رأيت ما يكفي!

تنهد ونظر إلى ستان :

ـ من المفترض أنك مجنون بحب المرأة التي بين ذراعيك . حباً بالله يا رجل . . أنت ستخون أهل قريتك وتبقي على حياتها . . على الأقل أظهر وكأنك تعني ذاك العناق .

نظر إلى أسينا بسرعة، فأحست أنها عارية أمامه :

ـ قد يكون عندي شكاوى كثيرة ضد الآنسة لورد ولكنني لا أظن أبداً أن عناقها غير مثير .

نظرت إليه أسينا مصدومة . . ماذا يعني بهذا؟ ماذا يحاول أن يفعل بها؟ كيف يكون في عينيه الرغبة والشوق في لحظة . . وفي التالية كراهية شديدة؟ هذا غير معقول، ولا يمكنها سوى الظن أنه يتعمد تكديرها . . ولقد نجح في هذا جيداً . . اللعنة عليه!

وتقدم ستان إلى الأمام استعداداً لإعادة المشهد .

هذه المرة كان المشهد أفضل، ففيه وضعت أسينا كل الدفء الذي تستطيع أن تُظهره، لأنها كانت مصممة على عدم إعطاء غارث أي سبب للتذمر .

دخل غارث دائرة الأضواء :

ـ حسن جداً! هكذا أفضل . . أفضل بكثير .

ارتد إلى ستان :

ـ لكن المشهد لا يزال ينقصه الحرارة . . للشاب مشاكل يجب أن تشعر بها في أعماقك .

يا إلهي! إنها مرهقة عاطفياً وجسدياً . واليأس وحده هو الذي أعطاها الجرأة للكلام :

ـ هل تعني أنك تريد منا إعادة المشهد كله؟

اتجهت عيناه الضيقتان الغاضبتان إليها . . وارتفع حاجبه بسخرية :

ـ هذا بالضبط ما أعنيه، آنسة لورد . . فهل لديك اعتراض؟ بسبب غبائك اضطررنا إلى التصوير إحدى عشرة مرة . لذا مرة أخرى بناء على طلبي، ليس كثيراً .

لم تعرف من أين وجدت القوة، لكنها واجهت عينيه . . فاللقطة كانت جيدة . . لكن لسبب خفي خاص به يحاول معاقبتها . . فقالت بإصرار وهدوء : «أظن اللقطة كانت ناجحة» .

اشتد ضغط فكه :

ـ وهل أنت مؤهلة لتحكمي؟

ـ اعتقدت فقط . .

وهزت رأسها.. ثم أطبقت شفتيها.. فما الفائدة؟ إنه يكرهها! ولن يصغي إلى أي كلمة تقولها.

أكدت كلماته التالية مخاوفها:

ـ لا تزعجي نفسك بالاعتقاد آنسة لورد! نحن لا ندفع لك لتفكري! حين أريد من يفكر فسأبحث عمن يملك عقلاً.. دعيني أذكرك أنك موظفة هنا كممثلة. وأنا لا أطلب منك أكثر من أن تحفظي السيناريو، وأن تفعلي بالضبط ما أقوله لك، هل هذا مفهوم؟

مع كل كلمة فظة، كان غضبه يزداد.. عضت أسينا شفتها وأطرقت رأسها بإذعان، فلم يعد لديها الإرادة لتدافع عن نفسها.. بل الواقع أنها لا تملك أي دفاع ضد غضبه غير المنطقي.

أحست بستان يدنو منها ويقول وعيناه تراقبان ردة فعل غارث لكلامه:

ـ وأنا كذلك أعتقد أننا أحسنا تمثيل هذا المشهد.. ولا أظن أنني سأتمكن من إدائه بشكل أفضل.

رفع غارث قبضتيه المشدودتين إلى جبينه، وكأنه وصل إلى ما وراء حد التحمل.. وتأوه:

ـ أعطني القوة إلهي! أتظن أنك نجحت؟

تحرك إلى الأمام في خطوتين غاضبتين:

ـ حسناً أنت لم تنجح! كان منظراً سخيفاً! يبدو أنني مضطر لأريك ما أريد!

أزاح ستان جانباً وكأن لا وزن له، وارتدّ إلى أسينا وأمسك كتفيها بتركيز وقسوة.. لم تستطع أسينا أن تصدق.. كانت في حالة دوار، وعرفت بالضبط ما سيجري، لكن دون قدرة على منعه.. نظرت إلى غارث بعينين واسعتين ضعيفتين.

كان غارث ينظر إلى ستان بدلاً منها ويقول آمراً:

ـ راقبني عن كثب.. ادفع نفسك لتشعر بعنف مشاعر الرجل وتشوّشها.. أنت تريدها! لكنك تكرهها...

نظر إليها بعينين بارقتين، يثبت أسينا بنظرته.. كانت أصابعه قاسية، وارتفعت من كتفيها لتطبق على عنقها، لكنها لم تلاحظ.. كانت مسحورة بنظرته الشرسة، وبمزيج من أحاسيس مجنونة تمر بوجهه. حين تركت يداه عنقها، وشدت جسدها إليه بحدة أدركت أن هذا بالضبط ما كانت تريد منه أن يفعل، منذ أول مرة التقيا.. أغمضت عينيها وهي تشعر بالدوار من رائحته وملمسه وتعلقت به دون مقاومة، وتسللت ذراعاها دون وعي إلى عنقه، وتخللت أصابعها شعره الأسود الكثيف.

نسيت ما حولها.. نسيت كل شيء.. كانت تحس بكل ذرة من جسمه، وعرفت أنه مهما كان الأمر، فهو يريدها.. ولو أنه ليس ممثلاً بما فيه الكفاية لتحريك ذلك الإحساس بالذات، واستجابت، دون أن تهتم في تلك اللحظة بمن يراقبهما.. فقد ضاعت في موجة أحاسيس محرقة.

جاءت عودتها إلى الأرض مفاجئة إلى حد الذعر.. في لحظة كانت دائرة ذراعيه القويتين حولها، وفي التالية تركها ترفرف أمام ضوء الواقع المبهر، أطرافها ترتجف بعنف عقب العناق المحموم.

تمتم فجأة: «هكذا أريد تمثيل هذا المشهد!»

ولم تسمع أسينا صوته الأجش غير الطبيعي، أو الطريقة التي تشبثت فيها عيناه على قسمات وجهها المرتبك.. ورأت ستان يسير نحوها، ومدت يداً مرتجفة نحوه طالبة دعمه لها، واستندت إليه كطفلة.

همس في أذنها: «هل أنت بخير؟ تبدين مصدومة مرتجفة».

يا الله! الارتجاف كلمة لا تصف أبداً ما تشعر به.. لم تعرف بالضبط ما أصابها.. لم تتلق عناقاً مثل هذا من قبل لكنها هزت رأسها:

ـ أنا بخير.. لكنني متعبة قليلاً.

كان غارث يراقبهما، بوجه مشدود وعينين مشتعلتين.

قال ساخراً: «إذا انتهيتما.. فسأقدر لكما البدء بالعمل!»

ما زال غاضباً.. فتلك اللحظات بين ذراعيه لم تغير شيئاً.. ولحقت بستان طائعة إلى دائرة الضوء وأبقت رأسها منحنياً، ترفض النظر إلى

www.elromancia.com

غارث . . فتجاوبها مع عناقه أفزعها . . لم يكن لديها أي دفاع . . ولم يعن هذا له أكثر من لحظة رغبة عابرة . . أرادت أن تبكي، لكنها تابعت العمل تبعد دموعها وتلحق بستان .

والواقع أن ستان راعاها كثيراً خلال المشهد، وكانت لا تزال تحس بالدوار حين أوقف غارث التصوير . وعادت برفقة ستان سيراً إلى المنزل وعقلها في دوّامة . . ماذا ستفعل؟ هل ستفهمه يوماً؟

بدأت تشك في هذا، وعرفت أن التخمين في هذا المجال لا جدوى منه . . غارث ليس لها! ولن يكون أبداً! من الأفضل لها أن تتقبل هذا الواقع، وأن تضعه خارج تفكيرها، وبأسرع ما يمكن . . بدلاً من البكاء لأمر مستحيل .

* * *

٧ ـ المواجهة

حتى المنظر من وراء الحديقة المسورة، ومن فوق المرجة الخضراء باتجاه البحر، بدأ يشحب . . رفعت أسينا يديها لتظلل عينيها ورأسها يستدير نحو واجهة أردونيان ماينر . .

تنهدت أسينا . فالأسابيع القليلة الأخيرة كانت جحيماً لا يطاق . . وفي هذه الفترة لم تستطع النوم كما يجب وهذا ظهر على وجهها وفي حركة جسمها المتعب . . كانت حياتها مشوشة . . وهي أول من يعترف بهذا . . تأخير العمل هذا الصباح لم يساعدها لإراحة أفكارها . . أمامها ثلاثة مشاهد صعبة هذا اليوم، اثنان منهما مع ميريام وهذا بحد ذاته فكرة لا تدعو للاطمئنان أبداً . آه! علناً كانت ميريام لطيفة معها ولكن أسينا لم يخدعها هذا . . فعينا ميريام الغيورتان، كانتا تطلقان شرراً أحمر كلما التقتا بأسينا .

لولا هذا الشعور بالبؤس الذي يستولي عليها لضحكت من سخرية الموقف . لا داعي لإحساس ميريام بالغيرة، فلقد جعل غارث من كراهيته لها أمراً واضحاً . . وفي المناسبات القليلة، التي لم يستطع تجنب النظر فيها إليها، كانت عيناه باردتين كحلبة تزلج على الجليد . . لكنه لم يفقد أعصابه معها مرة أخرى بعد ذلك المساء على قمة الصخور . . مع أنها تمنت لو يفقد أعصابه . . لأن عدم اكترائه كان يؤلمها أكثر من غضبه .

عمت الحركة أمام المنزل واضطرب اهتمامها بما يجري مؤقتاً . لقد خرج غارث للتو من المنزل، وكانت بعيدة عنه بحيث لم تستطع رؤية وجهه بوضوح . مع ذلك انجذبت عيناها إليه . . تعرف أن هذا غباء، لكن لا شيء

www.elromancia.com

تفعله.. إنه كالمخدر.. يسمم جهازها العصبي ببطء. ومع أنها تعرف أنه خطر عليها، فهي لا تستطيع تركه وشأنه.

كانت الساعة العاشرة والنصف قبل أن يتم إصلاح المعدات، وخافت أسينا من أن يكون التأثر قد أفسد تركيزها.. لكن، ويا للفرح! كان مشهد ركضها حافية القدمين إلى منزل العزبة مقبولاً من أول مرة.. كان غارث يراقبها، لكنه عاد وارتدّ متجاهلاً إياها.. أما هي فجلست على الدرج والتنورة المهترئة الواسعة التي هي زي فلاحي، منتشرة حولها..

تابع تجاهلها، وعضت شفتها.. لكنها في الأسابيع الأخيرة اعتادت الأمر وتقبلته.. بعد قليل اقترب منها هيوغ الذي هنأها على نجاح هذا المشهد ولكن هذا لا يكفي.. وحين استدار ليصدر أوامر لفريق العمل، عادت عيناها مجدداً إلى غارث، وتركزتا على الوجه الأسود القاتم المنحني فوق السيناريو.

بدا متعباً.. خطوط الإجهاد حول فمه. الواضح أنه لم يحظ بوقت ليحلق ذقنه هذا الصباح. وكانت الظلال الزرقاء التي تزيد من اسوداد ذقنه، تضيف بُعداً آخر لجاذبيته.. كانت منكبة على أفكارها بحيث أنه رفع رأسه ليلاقي نظرتها قبل أن تعي ماذا يفعل.. شهقت بأنفاس قصيرة.. وشعرت بخفقان قلبها المجنون تحت ضلوعها.. وأرادت أن تشهق الهواء إلى رئتيها.. فقد كادت عيناه تأكلانها حية.. وانصبت نظرته الشرسة الحارة على وجهها وجسمها، تذكرها دون مجال للمقاومة بتلك اللحظات على قمة الصخور، حين احتواها بين ذراعيه.

ـ اعذريني أسينا!

وكان المصوّر.. فقفزت واقفة قاطعة بذلك التواصل الذي كان بينهما. وحين نظرت مجدداً، كان غارث قد ارتدّ مديراً ظهره إليها، يصب اهتمامه كلّه على النص الذي بين يديه. أما هي فكانت ترتجف كردة فعل على نظرته تلك.

كان هناك كومة معدات يجب أن تُنقل قبل أن يصبح الطاقم مستعداً لتصوير المشهد القادم، وعادت أسينا إلى الردهة الداخلية.. كانت قدماها

الحافيتان ترحبان بملمس الأرض الحجرية الباردة.. تقدمت ببطء لتتفحص الصور المعلقة على الجدران البيضاء.. كانت صوراً للريف في كرونويل، في كل موسم من السنة.. كانت مريحة للأعصاب، ودون أن تدرك استغرقت أسينا فيها، بحيث أنها حين وصلت ميريام ترتدي الثوب الحريري الأزرق كسيدة لمنزل المزرعة، لم تشعر أسينا بالرهبة كالعادة.. مع ذلك لم تعجبها الطريقة التي كانت تبتسم فيها ميريام لها.. ولزمها جهد لتلفتت إليها، لترد على ابتسامتها بواحدة تماثلها زيفاً.

ـ أسينا عزيزتي.. أنا مسرورة لأنني وجدتك بمفردك فثمة مسألة أريد مناقشتها معك.

بدت ميريام أجمل من العادة، فشعرها الرائع مرتب بطريقة ممتازة، وتبرجها يماثله رهبة.. لكن كل ما في العالم من كحل ومن ظلال سوداء لن يخفي الشر البارز في عينيها..

بقيت تبتسم أدباً وهي تسأل: «هل من خطب؟ هل حصل تبديل في المواعيد؟»

ردت ميريام برقّة: «لا.. أريد أن أحدّثك عن شيء آخر.. أردت مناقشته معك، مسألة تهمّنا معاً».

رفعت حاجبيها: «هل أحتاج أن أتابع عزيزتي؟»

وصمتت بتركيز مبالغ فيه.. ثم أضافت:

ـ لا.. واثقة أنني لست بحاجة لأن أتابع.. أنت فتاة عاقلة.. وتعرفين تماماً ما أحاول قوله.

هزت أسينا رأسها نفياً: «أنا آسفة.. أنا لا أفهمك».

لكنها كانت تفهم جيداً قصدها.. فغارث هو الموضوع الذي تريد ميريام بحثه معها، وهو آخر من تريد أن تتحدث عنه.

لكن ميريام لم تنخدع بإنكار أسينا.

ـ آه!.. هيا الآن أسينا.. لا تدعينا نتلاعب. نحن كبيرتان بما فيه الكفاية على هذا.. صدقيني حين أقول لك أنني رأيت مثل هذا كله من

قبل . . فأنا أعرف غارث منذ سنوات عديدة، ولست الأولى التي تقع تحت تأثير سحره الذي لا يُنكر أبداً . . والواقع أنني أتعاطف معك، وأفهم تماماً لماذا تتصرفين هكذا . . لكن، حقاً عزيزتي . . لن يفيدك هذا . . لأنه يخلق كمية كبيرة من الحرج، والشائعات تجعل الأمور صعبة لغارث.

أخذت تنظر إلى أظافرها البيضاوية الشكل بتركيز صامت للحظات، ثم:

ـ لقد وعدته أن أذكر المسألة لك . . وأحسسنا معاً أنك ستفهمين.

شحب وجه أسينا وهي تستوعب المعنى الكامل وراء كلمات ميريام . . لكن رغم الغضب والازدراء اللذين يعاملها بهما أحياناً، فمن المستحيل أن يكون قد بحث هذا الأمر مع ميريام. لا تستطيع، ولن تستطيع، أن تصدق . . لا بد أنها تدعي ذلك . . لكن هل هذا صحيح؟ ماذا تعرف عنه على أي حال؟ لا شيء تقريباً! كان وجهها قناعاً خالياً من المشاعر . . وكانت ممزقة، لا تعرف ماذا تصدق. لكن مهما كانت الشكوك التي تعاني منها، فهي لا تنوي أبداً أن تُظهرها لميريام.

رفعت ذقنها إلى فوق . . وبرقت عيناها الخضراوان بحيوية في وجهها الشاحب . .

قالت: «لا أدري حقاً لماذا تخبرينني هذا كله».

ـ يا فتاتي العزيزة . . أعتقد أنك تعرفين ذلك نِعْمَ المعرفة.

انقلب الشر في عيني ميريام إلى غضب، لكن أسينا لن تتركها ترهبها.

ـ على العكس . . ليس لدي أدنى فكرة عما تتكلمين . . إذا كنت تقصدين أنني منجذبة إلى المخرج، فاعلمي أنك لم تصيبي الهدف.

هزت كتفيها في بعدم اكتراث:

ـ إن كنت سمعت أنه عانقني بشغف خلال تصوير الفيلم . . فهذا صحيح . . لكن ثقي أن لا داعي للقلق، لأنني لم أبنِ أحلاماً على هذا الأمر.

حاولت أسينا التمثيل ولكن كلماتها جاءت كتمثيلية فيها السيناريو سيء . . مع ذلك خدعت ميريام . . فقد شحبت وجنتاها حتى أصبحتا بلون

الطبشور الأبيض تحت ماكياجها . . ولم تستطع أسينا كبت رضاها الغريزي.

حدّقت ميريام إلى أسينا بعينين زرقاوين مميتتين:

ـ لا تظني أن جو عدم الاكتراث هذا خدعني . . أنا لا أعرف ماذا تأملين أن تكسبي . . لكنك تتصرفين بغباء . . صدقيني، أستطيع أن أصعّب الأمور عليك.

ـ بإمكانك أن تجربي طبعاً . . لكن، ما لم يكن لديك دافع خفي، لا أرى لماذا تريدين فعل هذا.

ارتدت وعيناها تقدحان شرراً:

ـ هلاّ عذرتني . . أظن أنني بحاجة إلى هواء نقي قبل تصوير المشهد التالي . . فالجو أصبح مقيتاً.

قبل أن تفكر ميريام برد مناسب، ارتدّت أسينا وخرجت من الباب المفتوح، لكن ليس قبل أن تشاهد التعبير في عيني المرأة الأخرى . . وعرفت لو أنّ ميريام تستطيع أذيتها . . لفعلت.

تجولت أسينا في الخارج وهي لا تزال ترغي غضباً. لكنه كان صباحاً جميلاً . . ومنزل المزرعة «أردونيان ماينر» جميل كذلك . . في ظروف أخرى كانت ستحب جداً أن تعيش فيه . . لكنها مؤخراً كانت قد بدأت تشعر بالحنين إلى منزلها في لندن. اشتاقت لرؤية وجه روان الودود مرة أخرى وإلى صوت زحام السير، وإلى حركة المدينة . . وهي بحاجة للابتعاد عن أردونيان. في الأسابيع الأخيرة، تنامت هذه المتاعب إلى أبعد من أية توقعات مثلما تنمو نباتات استوائية ضخمة داخل غرفة الزجاج، تغذيها كل المشاعر الحارة التي تشتعل تحت السطح . . كان كل شيء سيبدو أسهل لو استطاعت التهرب في الأمسيات . . والعودة إلى شقتها لتضحك على أحداث اليوم مع روان . . لقد هجرتها روح المرح . . وأصبحت كئيبة.

كانت تتجول في الحديقة حين جاء هيوغ ليقول لها إنهم مستعدون للتصوير . . وكانت متوترة لأنها مضطرة إلى مواجهة ميريام مجدداً . . وهذه المرة أمام الكاميرات . . لكن في الواقع، كانت فخورة بأدائها . . وكانت

ميريام هي التي انهارت لتقاطع المشهد. لم تكن أسينا بحاجة لرفع رأسها لتعرف أن غارث كان يتجه نحوهما.. وكانت محرجة.. فقد بدت اتهامات ميريام معلقة في الجو بينهما.. وكانت تخشى أن يقول هو شيئاً كذلك، لكنه تجاوزها وخاطب ميريام.

سأل بهدوء: «ماذا جرى؟»

بدا صوته مرهقاً.. ولكن أسينا لم ترد أن تشعر بالشفقة عليه. كانت مشاعرها مشوشة.. ومع ذلك لم تستطع منع ردة فعل منها.. خاطرت بنظرة سريعة وتشوقت أن تمد يدها، لتمسح عن وجهه الإرهاق.

ـ حبيبي.. أنا مرهقة!

جذبت لهجة ميريام المتفجعة، انتباه أسينا، وراقبتها تضغط أصابع مرتجفة إلى صدغيها وتتابع:

ـ التأخير هذا الصباح.. والآن، اضطراري لتصوير هذا المشهد بالذات.

رفع غارث حاجبين أسودين:

تنهد: «أنا آسف للتأخير.. كنت سأتجنبه لو استطعت. لكن بالنسبة لتصوير هذا المشهد.. فما المشكلة؟».

ـ حبيبي.. لا أريد أن أسبب لك المزيد من الصعوبات، وتعرف هذا.

وقفت ميريام وخطت نحوه وراحت أصابعها تمسح التقطيب عن جبينه، كما كانت أسينا تتوق أن تفعل.. في هذه اللحظة غضت أسينا الطرف لأنها أحست بسكين الغيرة تغرز عميقاً في قلبها.. اللعنة على ميريام! تعرف أن أسينا شاهدة مكرهة، وتتعمد إظهار مركزها المميز لتعذب أسينا.

ـ من الصعب العمل مع أسينا.

قالت ذلك بتردد ثم أضافت:

ـ لا أحب أن أقول هذا، وأعرف أنها غير خبيرة نسبياً.. ويجب أن نتسامح معها.

نظرت أسينا إليها فاغرة فاها.. يجب أن تقول شيئاً لتدافع عن نفسها.. لكن فمها بقي فاغراً.. ثم فاجأتها لهجة غارث العميقة الخشنة:

ـ أنا لا أتسامح أبداً مع أي من المشاركين في فيلم معي، مهما كان غير خبير.. وأنت تعرفين هذا ميريام.

ارتدت عيناه نحو أسينا، فشاهد الذهول الغبي مرسوماً على وجهها.. أغلقت أسينا فمها بسرعة وأصغت إلى ما سيقول بعد.

ابتسم بلطف لميريام: فلنجرّب مرة أخرى.. ودعي لي أنا الحكم على أداء أسينا.. وكوني متأكدة أنني سأتدخل إذا رأيت أن هناك حاجة.

سحبت أسينا أنفاسها.. لقد دافع غارث عنها.. وهي لا تصدق ما تسمع.. ولم تكن وحدها المصدومة برده.. إذ ظهر الغضب على وجه ميريام.. ولكن غارث لم يلحظها بل توجه نحو الكاميرات ويداه مدسوستان في عمق جيبي بنطلونه.

قال: «فلنبدأ من الأول».

وتحملت أسينا بدلاً من غارث قوة غضب ميريام التي تمتمت ما إن ابتعد غارث عن السمع:

ـ لا تظني أنك نجوت بسهولة.. فأنت لم تري شيئاً مني بعد!

رفضت أسينا أن تستمع إليها لأنها ما زالت سابحة في خيالها.. فالغريب أن المخرج لم يتعاطف مع شكوى ميريام.. فما غير هذا يمكنها أن تفعل؟ لكن أسينا لم تترك لتتساءل كثيراً.. فقد كان هناك مقاطعة إثر أخرى في سياق اللقطة السهلة، وبعد ساعة ونصف، لم يكن يبدو أنهم اقتربوا من النجاح أكثر من أول مرة.. حين صاح غارث «توقف!» مرة أخرى، كان يمكن لأسينا وبكل إرادتها أن تزحف تحت الطاولة المصقولة جداً، الأثرية، وتخفي رأسها بين يديها.. كانت تعرف أنها أدت معظم دور فرانسواز المهم.. وأن ميريام قد أفسدت متعمدة اللقطات الأولى، بطريقة خبيثة، واحدة بعد أخرى. ومع اللقطة الرابعة، وكما كانت ميريام تنوي، انهارت أعصاب أسينا.. بحيث بدأت تخطىء دون أي استفزاز.

طارت عيناها إلى حيث كانت ميريام واقفة تتحدث إلى غارث بشكل حميم.. الضوء من النافذة كان يقع عليهما ويفصلهما عن الغرفة المظلمة،

ويزيد من إبراز موقفهما الحميم. . أدركت أسينا أن ميريام على الأرجح، تصب التذمر منها ومن أدائها في أذني غارث، ولم تتوقع أن يدافع عنها هذه المرة. . لقد أنجزت ميريام تخريبها بكل حنكة، بحيث أن أسينا بنفسها لم تدرك ما يحدث. . على الأقل ليس قبل أن يفوت الوقت. . لقد كسبت ميريام هذه الجولة، وما تأمله أسينا ألا يكون هذا النصر الأخير.

ـ غارث يريد أن يكلمك في مكتبه.

ارتفع رأس أسينا التي أجفلها صوت هيوغ الهادىء.

تنهدت: «آه! . . لا . . حسناً هيوغ. شكراً لإخباري. . سأراك فيما بعد. . على أمل أن أنجو من هذه المقابلة سالمة».

تمتم هيوغ: «لا تقلقي. . غارث ليس أعمى. إنه يرى ما تفعله ميريام».

ـ إذن لماذا لا يوقفها؟ لا بد أنه عرف ما أشعر به.

ـ يجب أن تتذكري أن ميريام هي النجمة. ولأكون صريحاً حبي، لا يمكن للفيلم أن يكتمل بدونها، ويجب أن يكون لبقاً. . دعيه يعالج الأمور على طريقته.

قصد هيوغ بكلامه أن يطمئنها، ولكن كان لكلامه تأثير مضاد. .

ـ بالإمكان إتمام الفيلم بدوني، كما أعتقد.

ـ لا تكوني حمقاء! ألم أقل لك إنّ غارث يعرف ما كان يجري؟ اذهبي إلى المكتب، وتوقفي عن القلق.

أمسك بمرفقها، وأعطاها دفعة بسيطة نحو الباب.

ـ أنت تنفذين ما تصبو إليه ميريام الآن. . اذهبي وأصغي إلى ما سيقوله غارث، قبل أن تستنتجي أشياء أخرى مغلوطة.

أحست بعيني هيوغ المشفقتين على ظهرها. . فقد لاحظ ما يحدث، وهذا بحد ذاته أمر يدعو للاطمئنان. . التوت معدتها في عقد مؤلمة وهي ترفع يداً مرتجفة لتدق الباب. . وأجاب عليها فوراً بلهجة قاسية، فدفعت الباب ودخلت رافعة ذقنها لكن عينيها الخضراوين كانتا تعكسان التوتر الذي تشعر به.

ما إن دخلت حتى امتدت نظرتها إلى المنضدة حيث تتوقع أن تراه جالساً. . لكنها وجدت ميريام جالسة في المقعد الجلدي البني وإنما الذقن المرفوع والوقفة الجامدة لم تخدعا ميريام التي عرفت أن أسينا خائفة. وابتسمت بلؤم، في عيني أسينا مباشرة، ووجهها مخبأ عن غارث بجناح الكرسي المرتفع.

سحبت أسينا نفساً عميقاً. . فلن تحصل ميريام على مرادها دون معركة. . أدارت رأسها متعمدة، تبحث في الغرفة. . كان غارث مستنداً بكل أناقة إلى المدفأة، جسمه قوس رشيق، ورموشه السوداء تلامس خديه وهو ينظر إلى الموقد الفارغة. . ولم تستطع السيطرة على ردة فعل جسمها. . كانت تعرف أنها حمقاء، بلهاء بالكامل لكن المنطق البارد لم يكن له مكان في مشاعرها نحوه.

استجمعت نفسها بعنف. . شعرت بأنه كان يرقبها وقد بدت عيناه الزرقاوان غامضتين. .

ـ هل تحبين أن تجلسي؟

هزت رأسها: «لا، شكراً لك».

تقبل رفضها دون تعليق، ثم رفع رأسه:

ـ قبل أن أعطي ما لاحظته بنفسي. . هل لدى إحداكما تفسير للأداء التعس هذا الصباح؟

ضغطت أسينا على شفتيها بشدة. . لديها تفسير، لكن كيف ستتفوه به؟ ولو فعلت، فمن سيصدقها؟

كسر الصمت لهجة ميريام التي قالت بدلال:

ـ حبيبي. . الأمر واضح بالتأكيد. هذا أول دور تمثله. . لا أريد أن أكون غير لطيفة، لكنني أعتقد أنها غير قادرة على فهم ما يجري.

رفعت أسينا رأسها، وعيناها عاصفتان غضباً. فأي كلمة ستقولها دفاعاً عن نفسها ستكون عذراً يحمل على الشفقة بعدما قالته ميريام. . لكن ولو من أجل كرامتها، لم تكن قادرة على ترك هذا يمر دون محاولة الدفاع عن نفسها.

أبقت عينيها مثبتتين على ميريام:

ـ السبب هو أنت! أنت تعمدت خلق المتاعب في اللقطات الأولى! وكنت تعرفين أن هذا سيثير اضطرابي!

لزم غارث الصمت وراحت عيناه الثاقبتان تنتقلان من واحدة إلى أخرى وكأنهما تراقبان مباراة تنس.. فجأة تحول وجه ميريام الجميل إلى ارتباك حزين.

ـ يا فتاتي العزيزة.. ولماذا أفعل شيئاً كهذا؟ كنت مرهقة قبل أن نبدأ التصوير.. وكنت متلهفة مثل غارث لإتمام المشهد.

غضبت أسينا بصمت.. فرد ميريام معقول جداً.. فكيف ستأمل أن يفهم غارث أبداً؟

قالت بغضب: «كنت تمثلين.. أنت غاضبة مني وهذه هي طريقتك لتنتقمي مني.. أعرف أنك ستنكرين كل شيء، وأعرف أن غارث لن يصدقني.. لأنني أنا نفسي لا أصدق ما يجري.. أنت نجمة! لذا عليك أن تكوني مترفعة عن مثل هذه التصرفات المثيرة للشفقة!».

صحيح أن كلماتها كانت مجنونة، عنيفة، ودون تفكير.. لكنها كانت أكثر غضباً من أن تهتم.

لكن ميريام اهتمت..! فجلست مستقيمة فجأة، وعيناها على غارث، فقد شتت جو الاسترخاء الذي كانت تحاول تبنيه اتهامات أسينا:

ـ هل ستسمح لها أن تكلمني هكذا؟ لقد فشلت بأدائها هذا الصباح.. والواضح تماماً أنها غير مناسبة للدور الذي عهدته إليها، وتسعى الآن لوضع اللوم علي.

رمت ميريام الكلمات بحقد نحو غارث، فكل التظاهر بالصداقة نحو أسينا تلاشى..

ارتدت إلى أسينا: «أما أنت.. أسينا لورد.. كنت أتسامح معك طوال الصباح، بسبب قلة خبرتك.. لكن ما من مزيد.. لا أنوي أبداً متابعة العمل معك، لا اليوم، ولا في أي يوم آخر!»

تأرجح شعر أسينا البرونزي وهي تهز رأسها ساخطة:

ـ لا شيء من هذا صحيح! وتعرفين هذا!

قال غارث: «إذا انتهيتما..».

برّد صوته مشاعر أسينا المحترقة.. ثم رأته يقف في مواجهتها معاً وأكمل ببرود:

ـ اسمعاني الآن جيداً.. أنا مخرج هذا الفيلم.. ولقد قلت لي مراراً يا ميريام إنني أتساهل مع الممثلين.. ربما أنت على صواب.. وربما كنت هكذا.. لكن ليس بعد الآن. صدقيني.. هنا تتوقف المعاملة اللطيفة.

كان طيفاً مخيفاً، طويلاً نحيلاً، أسمر.. ارتجفت أسينا داخلياً لأنها حزرت ما هو آت وتخاف من سماعه.. إذا طردها من الفيلم، فهذا لن يعني فقط تخريب مستقبلها، بل يعني أيضاً أنها لن تراه مجدداً.. وهذا أمر لن تطيق احتماله.. وراقبته بعينين خضراوين ملهوفتين.

ـ أرفض أن أرى ممثلتيّ الرئيستين تتخاصمان كتلميذتين مدللتين... اللعنة! من المفترض أن تكونا محترفتين!

انخفض فك أسينا.. إنه فعلاً يقسم اللوم بينهما.. إنها لا تصدق.

ولم تصدق ميريام كذلك، وارتسم على وجهها ذهول مصدوم.. وقالت وهي تنضح غضباً:

ـ غارث.. حبيبي.. لا يمكن أن تكون جاداً. لقد سمعت ما قالته لي.. أنت لا تدافع عنها بالتأكيد؟

تنهد غارث، وأخذ يدلك عنقه متعباً:

ـ أنا لا أدافع عن أحد ميريام.. بل أحاول ببساطة أن أكمل الفيلم.. هذا الصباح أخفقنا إخفاقاً شديداً.. وأود أن نعود إلى العمل في أقرب لحظة ممكنة.

صاحت ميريام غاضبة: «أتعني أنك ما زلت راغباً في بقاء أسينا لورد ضمن الممثلين؟»

كان يراقب وجه أسينا، وعيناه تظللهما رموشه النصف مغمضة.

وهز رأسه باقتضاب: «ستبقى».

www.elromancia.com

دفعت ميريام نفسها لتقف، وتحركت بغضب نحو غارث:

ـ لا يمكن أن تكون جاداً.

ودست ذراعها بذراعه، وأدارت وجهها إليه بتوسل بائس:

ـ حبيبي غارث.. لا تفعل هذا بي.. أرجوك.. ألا يهمك أنها أهانتني؟ ألا يهمك أنها أفسدت التصوير هذا الصباح؟

غطى غارث أصابعها بأصابعه، ولانت أساريره وهو ينظر إلى وجهها.. وتمتم بلطف:

ـ لا تتكدري هكذا.

ـ وكيف أستطيع لا أتكدر؟.. لقد صاحت بوجهي وأهانتني.. وأنا كنت كالميتة واقفة على قدميّ قبل التصوير.

أحست أسينا أنها واحدة من جمهور متفرجين في عرض أول لمسرحية.. وكانت ميريام تعتمد على الشفقة عليها بقدر ما تستحق.. شفتاها الناعمتان ترتجفان وعيناها الزرقاوان تبرقان بدموع لم تحاول سكبهما وغارث يحاول تهدئتها وصوته المنخفض يطمئنها.. رفضت أسينا أن تشهد ما يجري.. لذا رغبت أن تتسلل إلى الخارج وتتركهما يفعلان ما يشاءان.. ولكنها بدلاً من هذا، أخذت عيناها تتنقلان في الغرفة، تتفحصان الكتب واللوحات على الجدران، محاولة صد حديثهما المنخفض عن أذنيها وعقلها، لكنها لم تنجح.

بدا لها أن ميريام نجحت بإقناع غارث أنها مرهقة من جراء أحداث هذا الصباح، ولم تدهش أسينا حين رأتهما يسيران نحو الباب، وذراعه تدعمها.

قال لأسينا وهما يمران بها:

ـ سنستلقي ميريام قليلاً في غرفتها، لمدة ساعة. لكن أرجو أن تجلسي هنا وتنتظريني.. أريد أن أعمل معك على السيناريو قبل بدء التصوير مجدداً.

جلست أسينا على أحد المقاعد الجلدية المريحة بعد إغلاق الباب خلفهما، وأسندت رأسها إلى الوراء، وأغمضت عينيها وهي تفكر في أن غارث لن يعود.. الآن وقد أطبقت ميريام عليه براثنها، فلن تتركه يهرب بسهولة.. ولم تكن متأكدة أنه يرغب في الخلاص.. ما زالت صورة علاقته بها غير واضحة

المعالم لها.. هل هما عشيقان أم لا؟ وتنهدت أسينا بثقل.. تعابير وجهها متكدرة، ماذا يهم؟ إنه غير مهتم بها.

سارت نحو رفوف الكتب التي تغطي جداراً واحداً من الغرفة الصغيرة..

كانت تقرأ كتاباً قديماً حين دخل غارث إلى الغرفة حيث كانت محنية الرأس ضائعة في عالمه الجميل. ثم شعرت بعينين تثقبان ظهرها، فارتدت ببطء نحو الباب.. كان يراقبها، وعلى وجهه تعبير دفع الدماء إلى وجنتيها.. لكنه تحرك، يقفل الباب خلفه، وتلاشت اللحظة تماماً، بحيث تساءلت عما إذا كانت مخيلتها تتلاعب بها.

قال فجأة: «أنا آسف لأنني أبقيتك منتظرة».

واقترب حتى جلس في المقعد الذي أخلته ميريام.. لكنه لم يبدُ آسفاً.. بل بدا غاضباً، وجهه بارد قاس.

تمتمت: «أنا آسفة.. هل انزعجت لأنني ألقي نظرة على الكتب؟ ظننت أنك ستتأخر..».

هز كتفيه: إنها أملاك عائلة سانت كلير، وليست أملاكي.. لكنني واثق أنهم لن يعترضوا.

ابتلعت ريقها متوترة.. إنه موقف رهيب.. وتتمنى ألا يتابع تحديقه فيها.

ـ ما زال لديّ الكتابان اللذان استعرتهما منك.. يجب أن أتذكر لأعيدهما.

ـ وهل قرأتهما؟

بدا وكأنه لا يهتم أبداً بها.. وكانت مشغولة بأفكارها بحيث لم تنتبه لسؤاله.. فرفع حاجبيه:

ـ أفترض من الصمت أنك لم تقرئيهما.

تورّد وجه أسينا...

ـ لا داعي للحرج.. لم يكن من المطلوب قراءتهما.. أنا لا أعطي الممثلين

عادة لائحة بالكتب.

ردت على الفور: «لقد قرأتهما.. أنهيت أحدهما، وبدأت بالآخر».

زاد احمرارها بسبب النظرة الزرقاء التي تدل على عدم التصديق.. لكن ما تقوله صحيح، ولقد استمتعت بقراءتهما.. ولكن لسوء الحظ، كلما فتحت الصفحات الصفراء، كانت ذكريات ذلك الصباح الذي جال بها في المنزل تتسارع إلى تفكيرها بحيث تضع الكتاب الجلدي الغلاف من يدها، وتقفل الدرج عليهما.. لكنها لا تستطيع شرح هذا لغارث لأنه سيظنها مجنونة..

قالت: «الأمر أنني لا أجد الوقت الكافي لإنهائهما».

كان ينظر إلى السقف ويداه خلف رأسه.. وتساءلت ساخطة عما إذا كان يصغي إليها أم لا..

أضافت بحدة: «ربما يجب أن أذهب الآن.. أعرف السيناريو جيداً.. وأرى أنك مشغول كثيراً».

توجهت إلى الباب، لكنه وقف، ووصل إليه قبلها يسد طريقها:

ـ أنا آسف.. إنها فظاظة مني.. أصبح الاعتذار منك هواية.

رفضت أن تخضع لسحره.. وقالت له:

ـ لا داعي للاعتذار.. أعرف أنني كنت مصدر ازعاج هذا الصباح.. وأدرك أنك مشغول.

ـ كنت فظاً معك.. لكنني كنت مشغول الفكر.. بصراحة هناك أشياء كثيرة لا أقوم بها ولا أعرف بماذا أبدأ.. ولقد طرأ أمر آخر للتو.. وأخشى أن نؤجل نقاشنا الذي يتعلق بالسيناريو.

لم تصدقه أسينا، لا بد أن هذا عذر لئلا يكلمها.

قالت من بين شفتين مشدودتين:

ـ لا بأس في هذا.. أفهم.

حاولت أن تدور حوله لتصل إلى الباب لكنه عاد ليتحرك بحيث لم تستطع المرور:

ـ أنت لا تصدقيني.

ـ طبعاً أصدقك. وأعرف مدى انشغالك.

لكنه كان مصمماً على أن يفسّر لها:

ـ لقد وصلتني مخابرة هاتفية منذ دقائق، ويجب أن أذهب إلى بنزانس، لأتمم بعض الأوراق مع المصرف.

نظرت إليه بعينين واسعتين متسائلة لماذا يهتم أن تصدقه.

هز رأسه، ومرر يداً بشعره:

ـ حباً بالله أسينا! أعرف أنه كان صباحاً قاسياً.. وهذا ليس تهرباً من جهتي.. أنا لا أحاول جعل الموقف أسوأ مما هو عليه.

ـ ولماذا أصدقك؟ لقد عاملتني وكأنني نكرة منذ أسابيع.. لذا يصعب عليّ أن أستوعب هذا التغيير.

ـ أعرف.. كنت غاضباً منك! ولقد تصرفت تصرف النذل.. أعي هذا أسينا.. لكن الله يعرف أنك استفززتني كثيراً.

أحست بعينيها تتسعان ذهولاً، وبدت التسلية على وجهه.

أضاف: «لا تكوني دهشة إلى هذا الحد.. أعترف أنني استنتجت استنتاجات خاطئة بسبب دليل صغير».

ـ آسفة غارث.. أعرف أن الموقف بدا مريباً حين دخلت غرفتي.. لكن برايان مجرد صديق.

جاء صوتها منخفضاً أجش، وتحركت نحوه.. لكن هذا كان شيئاً خاطئاً.. ومع أنه لم يتراجع أحست بتحفظه.

ـ إذن فلنسلّم أن كلينا آسف.. ويجب أن تعذريني الآن فعليّ أن أذهب بعد نصف ساعة، وما زلت بحاجة إلى حلاقة لحيتي وإلى تغيير ملابسي.

الآن وهو ملهوف للخلاص منها، كرهت أن تذهب.. يبدو أنها سامحته، إنما ليس تماماً.. فما زال متراجعاً.. وهي لا تريد هذا.. تريد أن يعودا صديقين.. تريد منه أن يثق بها. وإذا كان هذا سيحصل، فهما بحاجة إلى وقت للكلام.

www.elromancia.com

فتح لها الباب ووقف قربها مبتسماً ابتسامة مهذبة.. ترددت أسينا وتجنبت عينيه بحذر.

ـ أتساءل إن كنا سنحصل على فرصة بعد الظهر، هل يمكن أن تقلّني إلى بينزانس؟ أريد أن أتسوق وليس لدي سيارة.. ومن الصعب..

ـ لست ذاهباً في رحلة استمتاع.. إنه عمل بحت.

رفعت رأسها إليه: «لن أزعجك.. حقاً».

رأت وجهه يتوتر.. وسمعته يتنهد. ثم هز رأسه ببطء:

ـ كوني مستعدة بعد ثلاثين دقيقة.. لن أنتظر.

تركت أسينا الغرفة ووجنتاها متوردتان حرجاً.. إنها تتصرف بشكل سيء.. وهي لم تلحظ هذا.. عرفت أنه لا يريد رفقتها، ومع ذلك وضعته في موقف كان من المستحيل عليه أن يرفض.. وعرفت أن عليها أن تكون خجلة من نفسها.. لكنها تعرف كذلك أنها ليست خجلة.. أرادت أن تكون معه في هذه اللحظات وهذا كان همها الوحيد.

***

٨ ـ اختارت ناره

بعد ثلاثين دقيقة كانت أسينا جاهزة فعلاً.. فقد هجرت زيها الفلاحي، وارتدت زياً بسيطاً مؤلفاً من تنورة بنية وبلوزة عاجية ووضعت فوقهما معطفاً أزرق أنيقاً.. ركضت إلى الخارج عبر الدرج الخلفي، وفي نيتها الا تعطي غارث أي سبب ليتركها. لكنه لم يكن قد وصل.. أدركت هذا وهي تسير على الفناء الخارجي المرصوف بالحصى. وقفت تنتظر ولكنها في هذا الوقت تساءلت عما دهاها لتجبره على صحبتها.. تستطيع أن تحزر بسهولة ما يفكر فيه، فتصرفها هذا الصباح أكد له دون شك كل شكوكه اللعينة حولها.

كادت تقنع نفسها بالعودة إلى غرفتها، حين انفتح الباب وراءها.. ارتدت ببطء وقلبها يخفق خفقات سخيفة متسارعة..

كان قد غير ملابسه وارتدى بزة رمادية تظهر وجهه الأسمر الكئيب.

أدركت أسينا أنه فعلاً كئيب.. فهو لم ينظر إليها، بل نظر إلى قطرات المطر الكبيرة المتساقطة بانتظام أمام الباب المغطى بالسقف الحجري.

ـ يا له من طقس لعين!

لم تكن كلمات ترحيب مطمئنة.. نظرت إليه، تتساءل مرة أخرى لماذا جاءت معه.. ماذا تأمل أن تكسب؟ لكن الوقت متأخر الآن على التراجع.. فستبدو سخيفة.

أملت أن يتغير مزاجه الأسود ما أن يدخلا السيارة.. لكنه بدا مصمماً على إظهار عدم ترحيبه بها دون أن يتلفظ بأية كلمة.. تحدثت في البداية قليلاً عن مواضيع عامة آمنة، لكن رده جاء مختصراً، وكان في النهاية أن توقفت عن

www.elromancia.com

الكلام، وجلست صامتة مثله وراحت تركز عينيها على المطر المنهمر على الزجاج الأمامي، والطريق الرطبة المتعرجة أمامهما... بدت لها علاقتها بغارث كفاحاً متصلاً مثل صعود الجبل.. كلما ظنّت أنها أحرزت تقدماً، برز شيء أعادها إلى أسفل الدركات.. فهل يستأهل كل هذا العناء؟ هاهما.. محجوزان في سيارة صغيرة ووضع حميم.. وكأنها غير مرئية. كانت قد أملت أن يكون منجذباً إليها ولو قليلاً.. لكن يبدو أنها أساءت فهم كل الدلائل.

شعرت به يخفف من سرعته قليلاً.. فقد لاحت أمامهما سيارة شحن مليئة بالغنم، ولكنه حتى يخفف من سرعته ضغط بشكل مفاجيء على دواسة السرعة فخافت أسينا وزخها العرق البارد، وأحست بالرهبة.. لكنها تمكنت من المحافظة على واجهتها المهتزة، ثم استدارت السيارة بسرعة في منعطف ضيق آخر. ساعتها لم تعد قادرة على كبت آهة، وارتفعت يدها إلى شفتيها.

ارتدّ رأس غارث. فلما رأى وجهها الشاحب، بدأ يشتم ثم داس المكابح بحدة، وأخرج السيارة عن الطريق إلى فسحة ضيقة تقود إلى بوابة حقل.

كانت أسينا قد فتحت حزام المقعد، وفتحت الباب قبل أن تتوقف السيارة عن الحركة.. وأخذ كعبيها المرتفعين يغوصان في الأرض الرطبة وهي تتجه نحو البوابة..

عرفت أن غارث لحق بها، وأحست به يتنفس وراءها، لكنها تجاهلته.. ونظرت دون أن ترى إلى الحقل الفارغ. كان الغضب المتجمع في داخلها يهدد أن يثور ويخنقها.. إنها لا تفهمه، ولا تعرف ماذا يريد منها.. في دقيقة يكون ساحراً مغرياً، وفي الأخرى تنفث عيناه الزرقاوان رذاذاً بارداً عليها، حسناً.. إنها لا تريد أن تعرف أي شيء بعد.. إنها غاضبة منه، لكنها أكثر غضباً من نفسها.. وتأوهت بيأس.. إبعاده عن تفكيرها يجب أن يكون سهلاً، لكن هذا لن يكون.. بل الواقع سيكون مستحيلاً. وضع يده عليها.. وسأل: «هل أنت بخير؟».

ترنحت أسينا التي خنقتها كلمات الغضب، لكنه ما زال غير مدرك

للغضب الذي أطلقه من عقاله.

سألها ثانية: «هل أنت بخير؟».

ثم تنهد وهز رأسه قائلاً والقلق في صوته:

ـ آسف.. لم أعرف أنك عرضة لدوار السيارات. أشعر أنني متوحش.. كنت أقود بسرعة كبيرة في هذه الظروف.. أنا حقاً آسف جداً.

نظرت إليه بعينين ملتهبتين:

ـ أنت آسف! أنا الآسفة.. صدقني! أنا آسفة لأنني أجريت اختبار التمثيل في الفيلم وأنا آسفة لأنكم عرضتم علي دوراً! لكن قبل كل شيء، أنا آسفة أنني عرفتك!

خرجت الكلمات في جمل متصلة نارية غاضبة. وهذا صحيح.. ليتها لم تلتق به يوماً.. إنه كالشوكة في خاصرتها وهي قررت انتزاعها.

جاء دوره لينظر إليها وكأنه لا يصدق ما يسمع.. اشتدت أصابعه على كتفيها إلى درجة الألم:

ـ إذا انتهيت.. فلربما رغبت في الإصغاء إلي لحظات.

ـ لن أصغي! لا.. لن أفعل! لقد انتهيت من مرحلة الإصغاء إليك!.. كل ما تفعله هو أن تذلني.. رأيك بي.. لقد أوضحته كل الوضوح. ما كان يجب أن آتي معك اليوم.. أنا حمقاء!

ولم تستطع أن تكمل، لأنها كانت ترتجف من قوة مشاعرها، وأخفضت رأسها لتخبيء الدموع التي اغرورقت في عينيها.

ـ كلانا أحمق.. أوافق معك على هذا! خاصة ونحن نقف تحت المطر هكذا.

أمسك مرفقها المقاوم بقبضة قوية وجذبها نحو السيارة.. لكنها دقت قدمها في الأرض تحاول البقاء حيث هي، فنظر إليها وذقنه بارز غضباً:

ـ أنت مبللة حتى العظام.. ستصابين بنزلة صدرية.. فهل هذا ما تريدين أيتها الغبية الصغيرة؟

سألته بمرارة: «وهل تهتم؟ هل تهتم فعلاً؟».

اشتد ضغطه على فمه: «أجل.. أهتم!».

فتح الباب:

ـ والآن.. هل تدخلين السيارة بمفردك أم أرميك إلى الداخل بالقوة؟

دخلت أسينا، غاضبة.

ـ والآن.. أقترح أن تخلعي هذا المعطف المبلل، وتهدئي قليلاً.. وسنحاول الحديث بشكل متعقل.

أحست أنها سقيمة. كانت ثيابها ممتلئة بالماء وملتصقة بجسمها.. ولقد قالت أكثر مما تستطيع أن تتحمل.. استدارت لتواجهه، وصاحت:

ـ لا تلقي الأوامر عليّ غارث! لا تفعل هذا! فكما قلت من قبل.. أعرف رأيك بي ولا أظن أنها هناك ما قد يغيره.. لذا، أوصلني إلى بنزانس، واتركني هناك.. ولن أزعجك بعد الآن.. سأتصل ببرايان، فهو لا يعمل بعد ظهر اليوم.

كان تأثير كلماتها كصدمة كهربائية.. إذا انطلقت أصابعه تقبض على مؤخرة عنقها بقبضة فولاذية:

ـ لن يحصل هذا وحق الله! لن تذهبي إلى أي مكان مع برايان.. أتسمعيني؟ إذا ذهبنا إلى بينزانس فأنا الذي سأعيدك إلى المنزل.

حاولت لوي عنقها بعيداً عن قبضته، لكنها لم تستطع..

ـ أنت تؤلمني غارث.. دعني.

مال فوقها، بحيث لامس جسمه جسمها.. أنفاسه الحارة على خدها وبدت عيناه كلهيب أزرق.

ـ دعني.. أنت لا تريدني.

ما زالت تحاول الخلاص منه.. فضحك فجأة بحيث توقفت عن المقاومة ونظرت إليه.

كرر كلامها بصوت مثقل بالسخرية:

ـ أنا لا أريدك! يا الله أسينا.. لا أعرف ما إذا كان يجب أن أضحك أم أبكي.. ليتك تعلمين.

تركها، لكنها لم تتحرك.. بل جلست ببساطة جامدة في مكانها، أما يده فنزلت إلى فكها، لتتفحص أصابعه بشرتها الناعمة.. كان يرقبها بحدة، وكانت عيناه الحارقتان مسمرتان على وجهها.

وتمتم: أنا أريدك أسينا.. لقد أثرت فيّ منذ لقائنا الأول.

عصف قلبها بشدة وسرعة بحيث لم تكد تتنفس.. لا يمكن أن يحدث لها.. إنها لا تصدق.. لكن يجب أن تصدق.. فما زال غارث يبتسم لعينيها، وما زالت أصابعه تتلمس بحنان ولطف خدها.. وها هو ينحني نحوها.. وبدأت ترتجف بجنون ولم تستطع أن تتوقف.

تأوه بصوت أجش: «أسينا.. حبيبتي.. أكاد أجن!».

فكرت: أنا التي يجب أن أجن.. فأنا أحبه! رحت أقول لنفسي طوال الوقت إنني أكرهه، ولكنني لم أكن صادقة. وأخذت ترتجف.

رفع رأسه ينظر إليها بعينين ملؤهما العذاب:

ـ أريدك أسينا!

نظرت إليه دهشة.. ما الذي حدث لها؟ ماذا حدث للفتاة الباردة المسيطرة على نفسها التي كانت عليه يوماً؟ لقداختفت.. احترقت في حمى عناق غارث.. والتصقت به مجدداً.. وأخذ يعانقها ويعانقها بنفاد صبر.

في تلك اللحظات لم تهتم أنهما متوقفان إلى جانب طريق عامة.. كانت المركبات تهدر وهي تمر بهما.. كانا في عالم خاص بهما.. كان واقعها الوحيد.. لكن كلماتها كسرت تعويذة السحر التي تحيط بهما.

ـ غارث.. أحبك.

ـ أوه.. يا إلهي! لا بد أنني جننت.

ارتجفت أسينا، وأحست أنها محرومة.. كانت تطوف فوق ضبابة غامضة من الأحاسيس.. وها هي الآن تعود إلى الأرض بضربة مؤلمة.. مع ذلك لم تكن تعي ما حدث.. نظرت إلى غارث بعينين متسعتين، فإذا أنفاسه ثقيلة..

تمتم: «أنا آسف أسينا».

سألت: «لماذا غارث؟».

www.elromancia.com

إنها حائرة.. فقد كان غارث متورطاً بشغف مثلها، وها هو الآن يجلس بعيداً عنها قدر المستطاع، وعلى وجهه كره لذاته.

ارتدّ اليها دون أن يلمسها.. كان يراقبها بعين ماكرة.. ثم قال بصوت أجش:

ـ أريدك.. ولا أذكر متى أردت شيئاً بمثل هذه القوة.. لكن لا حق لي بهذا.

جمدت أسينا: «وهل السبب أنك رأيت برايان في غرفتي؟ لا تقلق.. جاء ينتظرني.. وهذا كل شيء.. إنه صديق..».

هز رأسه: من أجل سلامة عقلي، يجب أن أصدق أن هذا صحيح.. كانت فكرة ملامسته لك تدفعني إلى الجنون في الأسابيع الأخيرة. وجننت من فرط غيرتي حين رأيته في غرفتك.. وعلى سريرك.. ومن ذاك الوقت لم أستطع أن أفكر تفكيراً سوياً.. ولكن فيما بعد أدركت أنني أجمع واحداً مع واحد لأحصل على خمسة.

لامس خدها بلطف:

ـ أصبحت بارعاً بإساءة الظن بك.

نظرت إليه وقلبها في عينيها.. لكنها كانت مغمورة بالعاطفة، ومن الصعب أن تخفي هذا.

كان يتكلم وهو لا يزال يمسك يديها بشدة:

ـ إنها ميريام.. تظن أنها واقعة في حبي.

حاولت مقاطعته: «لكن.. غارث.».

لم يتركها تقاطعه: «دعيني أنهي كلامي أسينا.. أريد منك أن تفهمي ما يجري».

تنهد بثقل: «أعرف ما أحست به ميريام حين عرضت عليها الدور.. يمكنك أن تقولي إنني تسببت بهذا لنفسي.. لكنني اعتقدت أنني قادر على معالجة الأمر.. وكان هذا حتى ظهرت أنت».

ـ غارث أنا..

أرادت أن تقول إنها لا تهتم لميريام.. وإنها لا تهتم للماضي.. بل الواقع أنها نسيت وجود ميريام بالكامل...

لكنه هز رأسه مرة أخرى:

ـ لا.. دعيني أنهي كلامي.. فالله يعرف أن الأمر صعب بما فيه الكفاية.

ارتد لينظر خارج النافذة الأمامية، وفكه مشدود، وكأنه مستغرق في منظر الأرض المبللة:

ـ جنّت ميريام حين رأتني أعيدك إلى المنزل من القرية تلك الليلة.. وهددت أن تترك الفيلم، وأن تلغي عقدها.. عرفت ساعتئذ أن هذا يجب أن يتوقف.. بطريقة ما، كان من المريح أن أجد برايان في غرفتك.. لأنني ما كنت قادراً على الابتعاد عنك لولا هذا.

قالت بهدوء شديد:

ـ ألهذا عاملتني ميريام بهذه الدناءة اليوم؟

هز رأسه: «أنا آسف على هذا أسينا.. أردت أن أقطعها إرباً.. لكنني لم أستطع.. فأنا أسير على حافة سكين حادة.. لقد سمعت ما جرى عند قمة الصخور.. أعتقد أن الطريقة التي عانقتك فيها، رسمت صورة جميلة للجميع.. وكانت مهمتي أصعب ما يكون عندما حاولت أن أهدئها بعد ذلك».

تسمّرت جالسة ولكن رأسها انحنى واخفى وجهها.. لا عجب أنها كانت مشوشة.. لا عجب أنها لم تستطع معرفة دوافع غارث.. كان منجذباً إليها طوال الوقت، وميريام تشده إلى الخلف.. سمعته يتحرك، لكنها أبقت رأسها إلى الأسفل. فقد كان وجهها معبراً جداً، ويُظهر الكثير.

ـ هناك شيء آخر يجب أن أقوله لك.. أنا وميريام نعرف بعضنا بعضاً منذ سنوات.. وكنا عشيقين.. وبقينا معاً زمناً طويلاً حتى مدة متأخرة.. لكننا دائماً نعمل في طرفي العالم البعيدين، لهذا افترقنا.. وظننت أن قرار الفراق كان مشتركاً، لكن يبدو أنني كنت مخطئاً.

www.elromancia.com

تابع الكلام دون عاطفة، وأصغت أسينا:

ـ وهذا سبب آخر لمحاولتي الابتعاد عنك.. أشعر أحياناً أنني كالغريب بالنسبة لميريام.

ضحك: «إنها سافلة.. لكنني ما زلت مولعاً بها. لقد أمضينا وقتاً طيباً معاً ولا أريد أن أؤلمها أكثر من اللازم».

ـ هكذا الأمر إذن.. شكراً لشرحك.

حاولت أن تقول هذا بصوت هادىء، لكنها فشلت.. غارث منجذب إليها، إنما ليس بما فيه الكفاية فما زالت ميريام ممسكة بكل الأوراق، ولا تزال أهم عنده منها.

تنهد غارث الذي مرر يده بشعرها الأشعث:

ـ حباً بالسماء أسينا.. ماذا يمكنني أن أفعل غير هذا؟

ردت بحدة: «لا شيء بالتأكيد».

تمتم: «ما إن ينتهي الفيلم حتى أصبح حراً أن أفعل ما أشاء.. لقدخططت أن آخذ عطلة طويلة.. وكنت آمل أن تسمحي لي برؤيتك».

تجاهلت لهجة التوسل في صوته.. فلن تسمح للأمل بالتسلل الى نفسها.. إنه رجل جذاب ومثير جداً.. نساء أخريات غيرها وغير ميريام يجدنه هكذا.. والكثير يمكن أن يحدث في الشهرين القادمين.. وإن لم تتغلب ميريام على مقاومته، فسيفعل غيرها هذا..

وضع أصابعه حول ذقنها وأجبرها أن ترفع وجهها:

ـ أتظنين أنني راغب أن يكون الأمر هكذا؟ أنا أريدك أسينا لكنني لا أستطيع أن أطلب منك الانغماس في مغامرة عابرة.. لو كنت لي، لأعلنت ذلك على الملأ.

تحركت عيناه عليها بشوق، فلم يترك الحب المشبوب في عمقهما أدنى شك في أنه يعني ما يقول.

مدت يدها تلمس خده: «وأنا أريدك أيضاً».

كانت صادقة.. وربما حمقاء.. لكنها لن تستطيع تركه يبتعد.. ليس

الآن، بعدما عرفت أنها تحبه..

أردفت تقول: «أريد قضاء الوقت معك الآن.. من يعرف ما قد يحدث في نهاية الفيلم؟.. لن أستطيع التظاهر بالإعجاب بميريام، لكن سأحاول عدم تكديرها.. وهذا القرار عائد إليك».

كتمت أنفاسها بانتظار رده.. أخيراً قال:

ـ أسينا.. حبيبتي.. أنت على صواب.. لا أستطيع الانتظار.. لا أستطيع الابتعاد عنك..

شدها مجدداً إلى ذراعيه.. وعانقها عناقاً خطف أنفاسها.. لقد ربحت..

***

٩ ـ انتهى كل شيء

تمددت أسينا بتكاسل، وجسمها الذي أدفأته الشمس مسترخ كل الاسترخاء . . كانت ذراعاها مطويتين وعيناها نصف مغمضتين . . تركزت نظرتها على أشرعة يخت يشق زرقة البحر . . منذ أيام الطقس رائع وأشعة الشمس حارة . . تنهدت وهي تصغي إلى تغريد «قبرّة» في مكان ما من المسافة الزرقاء . . إنها معزوفة جميلة، تؤلم من يسمعها . . واخترق تغريد الطير مزاجها، وجعلها فجأة متململة بحيث ارتمت على معدتها . .

يجب أن تكون سعيدة . . إنها شابة . . وتحب . . تنهدت مرة أخرى، ورفعت عينيها نصف مغمضتين إلى السماء . . الحياة لسوء الحظ ليست بسيطة دائماً . . فحياتها الآن تشبه تفاحة وردية، كاملة من الخارج . . لكن فيها حشرة لعينة تنبش في عمقها، وتفسد كمالها .

لقد أصبح غارث دون شك لب عالمها في الأسابيع القليلة الأخيرة . . لم يمر لحظة في اليوم لم تفكر فيها به . . مهما فعلت كان موجوداً في عقلها . . وما إن تغمض عينيها، حتى تراه . . وهذا ما تفعله الآن . . وها هي صورته السمراء الوسيمة مطبوعة دائماً على شبكة عينيها .

فتحت عينيها وجلست مستقيمة . . ونظرتها مثبتة على الأفق البعيد . . في هذه الأيام، تتساءل أحياناً عما إذا كانت مجنونة، ولو قليلاً . . فهي لم تعد تعرف نفسها . كانت تبدو وكأنها غريبة ضعيفة، وليس لديها إرادة . . لم تعد مسيطرة على مصيرها . . وخرجت حياتها من يدها، مثل قمر صناعي خرج عن مداره .

أحبت غارث أكثر فأكثر، مع مرور الأيام . . كانا يتكلمان، لكنها كانت تدرك فيما بعد أنه لم يقل لها شيئاً . . كان يعرف كل شيء عنها، لكنها لا تعرف عنه أكثر مما كانت تعرفه في أول لقاء . . لم يتحدث قط عن عائلته، أو عن ماضيه . . كان لغزاً غامضاً، وكانت خائفة من غيرتها . . مذعورة من السهولة التي يمكنه أن يؤلمها فيها .

كانت أفكارها مضطربة جداً . . ولم تستطع الجلوس أكثر من هذا . . فدفعت نفسها لتقف ومسحت العشب عن تنورتها القطنية بأصابع قلقة . . تبعت خطواتها آلياً الممر الذي يوصل إلى المنزل . . وأفكارها لا تزال في المسار المتعب عينه .

غارث يرغب فيها وتعرف أن هذا صحيح . . إنها كالحمى في دمه، كما قال لها، وربما هذا كل شيء . . وفي يوم ما ستزول الحمى، ولن يكون لديها شيء إلا الذكريات المؤلمة . . خففت سرعة خطواتها، وارتجفت، مع أن الشمس كانت دافئة على ظهرها . . أحياناً، تخشى أن يكون مهتماً بميريام أكثر من اهتمامه بها . فعند العشاء تراهما جالسين معاً، ورأسه الأسود الشعر ملتصق برأسها الأشقر . . ولم تكن أسينا تتحمل النظر إليهما . . كانت الغيرة تطعن صدرها بقوة كلما رأتهما . . أرادت أن تصرخ، أن تهاجمهما، وأن تجعلهما يعانيان كما تعاني . . لكنها لم تفعل شيئاً . بل الواقع إنها لم تقل لغارث ما تشعر . . كرامتها تمرغت في التراب لكن لا يزال لديها الكثير مما يمنعها أن تقول شيئاً . فهو لم يعدها بشيء، وهي لن تتوسل إليه .

فيما بعد ذلك اليوم، طلب غارث منها أن تقضي نهاية الأسبوع في مكان بعيد معه . . كان التصوير يجري في الحديقة، واستوقفها قبل أن تذهب إلى غرفتها .

ـ أريد التحدث إليك أسينا . . لا تغيري ملابسك، انتظريني في المكتبة . . لن أتأخر .

فعلت ما قاله لها، ولما توجهت الى المكتبة أخذ قلبها يخفق بصوت مرتفع . . ربما لم يكن غارث يشاركها الكثير من نفسه، ولكنها ويا لغبائها

بحاجة الى كل ما هو مستعد لإعطائها . . دخل المكتبة بعد دقيقتين، وتقدم إليها، وعيناه الزرقاوان مشتعلتان . .

وقفت مرتجفة تحت تأثير النظرة المتلهفة . . وأحست بألم وسعادة وذراعاه تلتفان حولها، تجذبانها إليه . فرغ عقلها من أي شيء، من كل شيء عداه . . وضغطت نفسها عليه بشراسة، عيناها مغمضتان بشدة، وتعابير وجهها سارحة .

سحب أنفاسه بصعوبة :

ـ أنت جميلة . . جميلة جداً . لا أستطيع الاستمرار هكذا . . أريدك . . وسأجن لأجلك .

وهي تحبه كذلك، وتريده . لكنها بقيت صامتة، فتكلم مرة أخرى :

ـ أريدك أسينا . . أحتاج إليك كثيراً . . هل تسافرين معي؟

ـ أجل . . أجل . . متى أردت .

ـ لا يمكن في نهاية هذا الأسبوع . . فأنا ذاهب إلى لندن . سأحضر الترتيبات للأسبوع القادم . .

كان غارث مشغولاً أكثر مما مر عليه . . وأمضى مع المنتج ساعات طويلة يدرسان النسخات الأولية للقطات . وكان الانتاج يتسارع بسرعة رهيبة . . وعرفت أنهما مسروران للنتائج حتى الآن . . الجميع في الفريق مسرور . حتى ميريام ابتسمت إلا حين أدارت وجهها نحو أسينا، لكنها استمرت في العمل بالفيلم، ولم تلغ عقدها . . ولم تسبب المشاكل . حتى أنها عملت قبالة أسينا دون صعوبة . . لكن وجودها الدائم كان يزعج أسينا ويزيد من مخاوفها بشأن غارث .

ماذا يشعر فعلاً نحو ميريام؟ أما زال مهتماً بأمرها؟ أما زال يحبها؟ وهل يعتبرها هي مجرد هوى مؤقت سرعان ما يحترق؟

كانت زيارة غارث إلى لندن ستتم حسب المخطط . كان يهدف أن يسافر يوم الجمعة بعد الظهر، ولم تره أسينا سوى لوقت قصير قبل موعد السفر . . عشر دقائق مختلسة من العناق، تركتهما معاً مرتجفين . كانت تكره السرية . .

فهي تغذي غيرتها . . أرادت لعلاقتها معه أن تخرج إلى العلن . . فقد تعاظمت الشكوك السوداء في رأسها . . والتعرض للنور والهواء النقي وحده قادر على إبعاد هذه الشكوك .

ما إن وصلت الساعة الخامسة مساء الجمعة حتى دخل غارث مع المنتج . . غيرت أسينا زيها بسرعة، واستحمت لترتدي فستاناً بسيطاً . . كانت قد رأت برايان لوقت قصير خلال الغداء، وطلب منها أن تلاقيه قبل أن يعود إلى القرية . . هكذا أسرعت تنزل الدرج وتخرج إلى الفناء الخارجي تتساءل ماذا يريد . . في الواقع كانت تشعر بالذنب . . فقد تجنبته مؤخراً، وكانت تعرف أنه متألم . . وهذا مقياس آخر للطريقة التي سيطر فيها غارث على حياتها .

كان برايان ينتظرها قرب سيارته وهو يستند إلى مقدمتها، ويداه في جيبيه . . وصدم الذنب أسينا بجرح أعمق . . لقد كانت غير ودودة معه، مع ذلك لا يبدو أنه يحمل ضغينة . .

ـ مرحباً جميلتي . . لم أرك منذ مدة طويلة .

تمتمت : «مرحباً برايان» .

لا فائدة . . يجب أن تقول شيئاً! لا يمكنها تركه يعتقد أنها تخلت عنه فجأة، ودون سبب :

ـ أسفة برايان . . لا أريد أن تكون الأمور هكذا . . أعرف أنني لم أكن صديقة وفية .

صمتت محنية الرأس، تحفر ممراً في الحصى بقدمها :

ـ أشعر أنني سيئة . . لكنني آسفة . . ولا أستطيع إعطاء أي تفسير .

لم تقدم كلماتها اعتذاراً ولا شرحاً، لكنه بدا متفهماً .

ـ لا بأس حبي . . لا تقلقي . . هل من الصعب أن تتكلمي الآن؟ هل تطفلت عليك لأنني طلبت منك مقابلتي؟

ـ لا بأس في هذا . . صدقاً .

ـ أردت تحذيرك . . لويد في طريقه إلى هنا . . لقد اتصل ببام وعرض أن يقلها . . وأخشى أن يكون قادماً ليراك .

وصمت.. فحدقت أسينا إليه مشدوهة الوجه، وما إن فهمت المعنى الكامل من وراء كلماته حتى شحب وجهها.. لا يمكن لهذا أن يحدث لها.. لا يمكن.. لقد ظنت أن لويد غرايشام قد اختفى من حياتها إلى الأبد.. لكن يبدو أن هذا غير صحيح.. وها هو يختار أسوأ لحظة ممكنة ليعود للظهور.

واجهت برايان بعينين مصدومتين متسعتين:

ـ لا أفهم.. أنا لا أفهم.. لماذا هو قادم؟ لقد انتهى ما بيننا! لا أريده هنا.. قد يدمر كل شيء. غارث لن يفهم أبداً.

ظهرت الشفقة على وجه برايان، لكنه لم يستطع أن يطمئنها:

ـ أنا آسف أسينا! أعرف أنك لن ترغبي في رؤيته.. ولقد رفضت بام عرضه في البداية.. لكن.. قال إنه قادم على أي حال.. والواضح أنه دعا روان معه كذلك، لكنها تعمل في نهاية عطلة الأسبوع هذه.

نظرت أسينا إلى الأرض، تعض شفتها.. وتفكيرها يبعد أميالاً عن الكلمات التي كانت تقولها.

ـ أجل.. كتبت لي تخبرني إنها ستسافر إلى «جيرسي» فقد عرض عليها عمل لكاتالوغ مصور، وسيصورونه في الجزيرة.

ثم رفعت رأسها، وعيناها محمومتان لهفة:

ـ أوه.. برايان.. ماذا سأفعل؟ لا أستطيع رؤيته.. وبما أنني أعرفه جيداً أعرف أنه لن يقبل الرفض كرد.. والله وحده يعرف أنني رفضته بما يكفي في الماضي.

إذا اكتشف غارث أن لويد زارها، وهو مسافر في لندن، فسيظن بها أسوأ الظنون وسيشك أنها خططت لهذه الزيارة لتتوافق مع غيابه.. ولن يصدق أنها بريئة.

تنهد برايان ومرر يده في شعره الأسود:

ـ لا أعرف ما أقترح عليك.. سأحاول إبعاده.. لكنني لن أعدك بشيء.. أليس من السهل أكثر أن تقذفيه بالكلام القاسي وسنكون أنا وبام موجودين لندعمك معنوياً؟.

ارتدّت إليه.. وعيناها بلون البحر والسماء:

ـ أنت لا تفهم.. الأمر ليس بهذه البساطة.

وارتجف صوتها.. يجب أن تخبره بأمرها مع غارث. هذه هي الطريقة الوحيدة.. فقد يتمكن من التفكير في حل ما إن يعرف الحقيقة.. بدأت تتكلم وهو يصغي وفي هذا الوقت كانت عيناه السوداوان مركزتين على وجهها.

وأنهت كلامها:

ـ والآن أنت ترى لو جاء لويد إلى هنا الآن، وغارث مسافر.. سيظن أنني دبرت أمر الزيارة متعمدة.

رأت تعبير برايان وتنهدت.. هذا صحيح.. غارث بعيد كل البعد عن الثقة بأحد.. فقد تصرفت منذ أول لقاء لهما كسافلة رهيبة.. ولا عجب أن تثور ريبته بسهولة.. قالت هذا لبرايان.. فهز رأسه:

ـ هذا الرجل غبي.. لو كان يعرف عنك شيئاً لأدرك أنك لست ذلك النوع من النساء.

تمتمت: «لديه أسبابه.. ولا أريد إفساد زيارة بام فأنا أعرف أنك مشتاق اليها.. لكن أرجوك، إذا استطعت، امنع لويد من المجيء إلى هنا لرؤيتي. فلو عرفت ميريام، ولو بدليل على زيارته، فتأكد أن غارث سيكون أول من يعرف».

ـ سأبذل جهدي أسينا.. لكن صدقاً، أعتقد أنك تبالغين في استهابة رد فعل ستون.

هزت رأسها وتنهدت.. كم تود لو توافقه الرأي.. لكن لا جدوى من محاولة شرح الموقف لبرايان.. إنه شخص لطيف مستقيم، بحيث لن يفهم كيف يفكر غارث ستون.

سألت:

ـ هل ستبقى بام حتى يوم الاثنين؟

فهم برايان أنها تحاول تغيير الموضوع، وأخذ يتكلم عن أشياء أخرى..

www.elromancia.com

وسرعان ما تركها، ثم اتصل هاتفياً فيما بعد ليقول إن پام ولويد وصلا، وإنّ لويد ما زال مصمماً على أن رؤيتها.

ـ قلت له إن كل شيء بينكما انتهى، لكنه يعتقد أن ما عليكما سوى أن تتكلما معاً ليعود كل شيء على ما يرام.. لقد بذلت ما بوسعي حبي.. لكنه لم يصغ.. صدقاً.

تنهدت أسينا، تعض شفتها.. إنها تعرف هذا الإحساس.. لويد لا يصغي إلى شيء أبداً.. الواضح أنها مضطرة لرؤيته ودفعه ليفهم.. وستدعو الله ألا يعرف غارث بهذا.

صمتت طويلاً حتى أن برايان عاد إلى الكلام..

ـ قلت إنني سأرتب أمر أن نأتي جميعاً لنأخذك في العاشرة والنصف غداً.. فكرت أنني لو جئت مع پام أيضاً، فسنمنع انفراده بك.

وافقت أسينا على اقتراحه شاكرة، وعادت إلى غرفتها لتغير ثيابها استعداداً للعشاء.. كانت الوجبة صامتة بوجود عشرة أفراد فقط من الطاقم.. لكن ميريام كانت موجودة، وكان من الصعب على أسينا أن تتجنب عينيها. فقد بدت المرأة تراقبها، وشعرت أسينا أن الأخرى تستطيع أن ترى ما يدور في رأسها، وتعرف تماماً ماذا سيجري غداً.. وأحست براحة عظيمة لانتهاء العشاء واستطاعت الخلاص إلى غرفتها.

أخيراً غفت ولم تستيقظ الا في صباح آخر مشرق. كانت السماء زرقاء رائعة، والطيور تغني. بدأت معنوياتها ترتفع وهي تفتح الستائر.. من الصعب أن تكتئب في صباح كهذا.. استحمت، وارتدت بسرعة بنطلون جينز قديم وقميصاً قطنياً طويل الأكمام.. الواضح أن اليوم سيكون حاراً، لكنها لن تشجع لويد ولو بأي شيء يظهر من بشرة جسمها.

كانت غرفة الطعام فارغة حين دخلتها.. الجميع إما نائم أو تناول الفطور باكراً كي يستفيد أكثر من عطلة الأسبوع. وهذا ما ناسب أسينا، فهي لا تريد شهوداً على وصول لويد. أكلت بسرعة، وبعد العودة إلى غرفتها لتغسل يديها وتأخذ حقيبتها، نزلت تنتظر زوارها في الخارج.

رأت سيارة برايان ما إن انعطفت عند قمة التل، وسارت ببطء لتلتقي بها وهي تتنهد. كانت السيارة قريبة منها لتتعرف إلى ركابها، وغار قلبها وهي ترى لويد في المقعد الخلفي.. كانت تأمل الا يأتي.. لكن ها هو يبدو واثقاً من نفسه كعادته.

أدارت أسينا رأسها عنه ولوحت لپام، مبتسمة لها بحرارة.. كان من الرائع رؤيتها، ولولا ظهور لويد لاستمتعت بقضاء يوم بصحبة پام وبرايان المرحة.. توقفت السيارة إلى جانبها، وهي لا تزال تتجنب النظر إلى لويد. الرجل مصدر إزعاج رهيب.. ولم تعد تهتم ما إذا كانت ستجرح إحساسه أم لا.

فتحت پام بابها ونزلت من السيارة، وصاحت:

ـ مرحباً أسينا! كيف هو إحساسك وقد أصبحت من زمرة الأغنياء المشاهير؟

كانت پام صغيرة الجسم سوداء الشعر، وزنها زائد قليلاً عن الحد، وجهها شاحب صغير.. لكن حين كانت تبتسم، كما تفعل الآن، كانت تبدو وكأنها تشع من الداخل.. لم تقابل أسينا قط من يقدر أن يقاوم ابتسامتها.. في المدرسة، كانت پام تشارك في مغامرات طائشة مرحة، واحدة إثر أخرى.. لكن بمساعدة ابتسامتها كانت تستطيع تخليص نفسها، وتخليص من معها كذلك من العواقب الوخيمة.

ردت أسينا ضاحكة: «أنا أعمل بجهد ولم ألاحظ هذا».

انتقلت عينا پام إلى زوجها: «هذا ما يقوله برايان.. ولكنني بدأت أعتقد أن كلامه مجرد قصة خيالية».

رد زوجها: «بشرف الكشافة پام.. نحن نعمل كالعبيد».

كشرت پام وجهها لزوجها، وراقبتهما أسينا مبتسمة، مستمتعة بمزاحهما، وتمنت لو كانت علاقتها بغارث مرتكزة على الثقة المتبادلة.. عرفت أن لويد ترجل من السيارة ووقف خلفها، لكنها أبقت ظهرها إليه.. وما كان من الضروري أن تجفل حين أطلق ذراعه على خصرها.. لكنها

أجفلت.. لم يخطر ببالها أن يحاول ملامستها. الرجل شديد الغرور بنفسه، وجلده سميك كجلد الديناصور.. وارتدت تواجهه بغضب، تقاوم بشراسة لتخلص نفسها من قبضته.. لكنه أمسكها بشدة. ليس هذا فحسب بل أن يده الأخرى تسللت إلى شعرها وأمسكت برأسها تثبته بحزم، لئلا تستطيع التهرب من عناقه.

حاولت الابتعاد تدفع بيديها على صدره، كان پام وبرايان صامتين، لكنها كانت تعرف أنهما مذهولان مثلها تماماً.. وتابع معانقتها، وكرهت هذا.. وكرهته أكثر حين تركها أخيراً، وهو يتنفس بصعوبة، ووجهه محمر.. رفعت يدها تنوي صفعه على وجهه المتعجرف.. لكن الحركة لم تتم، فقد وقعت ذراعها إلى جنبها كالمشلولة، وفمها فاغر إحباطاً.

كانت ميريام قد خرجت من المنزل، وكلب مدبرة المنزل الذهبي اللون يتبعها.. ولقد رأته يعانقها، فارتسم الانتصار على وجهها ونظرت بسخرية إلى أسينا.. إنها تعرف طباع غارث.. فهو لن يسامحها أبداً.. لن يفهم أبداً.. وزيارة لويد من الصعب تفسيرها أصلاً.. فكيف ستفسر عناقه لها؟

عرفت أسينا أن برايان يكلمها، لكنها لم تستطع فهم الكلمات.. كان عقلها مشغولاً بتذكر تعابير وجه ميريام.. وأمسك برايان ذراعها يحثها نحو السيارة، فلحقت به بساقين مرتعشتين.. ولم يعد هناك أي جدوى من تجنب رفقة لويد عند هذه المرحلة، لقد حصل الضرر.. ولا تريد العودة إلى المنزل والمخاطرة برؤية ميريام مجدداً.

صحبهم برايان مجدداً إلى القرية.. في السيارة.. حين مد لويد يده إليها مرة أخرى، ارتدت إليه، وعيناها الخضراوان تنفثان النار، وصوتها الغاضب الأجش يقول له بوضوح كامل رأيها فيه.. ثم أنهت كلامها ورأسها مرفوع:

ـ.. وأنا لا أريد أن أراك مرة أخرى طالما أنا حية!

شحب وجهه، وغار في مقعده دون أن يتفوه بكلمة.. رأت أنه غاضب.. وبسبب وجود پام وبرايان كشاهدين صامتين دون إرادتهما، ذهب مباشرة إلى غرفته بعد وصولهم إلى الفندق.. وبعد ذلك لم تره أسينا. كانت

تنوي العودة إلى منزل المزرعة، لكن پام ضغطت عليها بلهفة لتمضية بقية اليوم معهما، بحيث أنها في النهاية وافقت.. وربما كانت موافقتها بسبب جبنها.. فهي شعرت أنها ستواجه ميريام على مائدة العشاء ولن تستطيع هذا.. فهناك ستظهر لها ميريام كل إشارات النصر ولن تحتاج أسينا كثير من التفكير لتعرف أنها ستركض إلى غارث لتخبره بقصتها لحظة وصوله.. لكن أسينا قررت الوصول إليه قبلها، وقبل أن تتمكن من نفث سمها.

صباح الأحد.. استيقظت باكراً وعند بزوغ الفجر وجدت أنها لم تعد قادرة على النوم.. وظلّ جسمها متصلباً تحت الأغطية، وعيناها مفتوحتان واسعتان، تحدق في السقف وهي تقلب مراراً وتكراراً الكلمات التي ستقولها لغارث حين يعود.. كان اليوم مشمساً حاراً مرة أخرى.. لكن هذا الصباح كان يتحلى بنسيم رقيق قادم من البحر، الذي تتسارع موجاته إلى الخليج تحت المنزل، ثم تتحطم بقوة ثابتة على الصخور.

بعد الفطور، قررت مغادرة «أردونيان» لفترة والذهاب للتمشي.. لن يصل غارث قبل السادسة ولو بقيت في المنزل فلسوف تصطدم بميريام، وهذا ما لا تريده.. هكذا ارتدت حذاء قديماً، ورمت وشاحاً على كتفيها وانطلقت بالسير على القدمين.. كانت الريح رائعة، وأحست أسينا أنها وحيدة في عالم بحر وسماء، ولوقت قصير نسيت كل متاعبها.

كانت الساعة تقارب الرابعة حين عادت.. كان لجمال وسكون اليوم تأثير المهدىء على مخاوفها.. لو كان غارث يهتم بها حقاً فلن يسيء الظن بها.. وصول لويد أمر لعين بحد ذاته، لكن لو أصغى إلى شرحها، فلسوف يفهم بكل تأكيد.. فجأة أحست بتفاؤل أكبر.. حتى أن خطواتها كانت جذلة وهي تصعد الدرج وصولاً إلى غرفتها.. غسلت وجهها ويديها بسرعة ورتبت شعرها.. هناك دائماً شاي في غرفة الطعام في مثل هذا الوقت.. عادة لا تهتم به، لكنها اليوم لم تتناول الغداء، وكانت جائعة. أسرعت تنزل السلم، واتجهت مباشرة إلى غرفة الطعام ولكنها توقفت فجأة ما إن رأت الشخص الوحيد الذي يشغل الغرفة.

ابتسمت ميريام لها بسخرية.. ووهج لون فستانها القرمزي يبرز انتصارها دون حاجة للكلام.. عرفت أسينا أنها شحبت، وعرفت أنها ترتجف.. لكن الوقت تأخر للهرب.. سحبت نفساً غير سوي، وأجبرت ساقيهاعلى التوجه الى الخزانة التي فيها أدوات الطعام حيث السندويشات والكايك.. لن تسمح لميريام أن تبعدها عن المكان.. اختارت من السندويشات الأنيقة الصغيرة والحلوى ما تريده ثم عادت الى الطاولة وجلست في أبعد مكان ممكن عن ميريام.

تعاظم الصمت بثبات.. وأجبرت أسينا نفسها على الأكل.. وأخذ توترها يتزايد، بحيث أصبح كل صوت صغير مثل حفيف السكين. وأحست بالراحة تقريباً حين تكلمت ميريام أخيراً.. فرفعت رأسها تستمع، وذقنها مرتفع، وعيناها الخضراوان تغطيان مخاوفها.

ـ تظنين أنك بغاية الذكاء.. أليس كذلك؟ هل كنت تصدقين فعلاً أنني لن أرى ماذا يجري تحت أنفي؟

ضحكت ضحكة ازدراء: «بل كنت أرى.. ورأيت بوضوح كامل.. كنت تلاحقين غارث.. وعرضت عليه نفسك.. كنت دعوة مفتوحة تسير على قدمين..».

ارتفع صوتها وحرق اللون الأحمر الشديد خديها:

ـ ظننت أنك ستكسبين.. أليس كذلك؟ لكن صدقيني غارث ليس غبياً! إنه يستغلك.. أسينا لورد.. ولن يكلفه الخلاص منك شيئاً!

أثرت كلمات ميريام في أسينا.. ولزمها جهد متزايد كي تبقي رأسها مرفوعاً لتواجه عيني المرأة الأخرى دون أن يرف جفنها.. هل صحيح أن غارث لا يهتم لها أبداً؟

أخيراً أجبرت صوتها على الخروج، وقالت بصوت أجش:

ـ أنا لم ألاحق غارث.. إنه شيء حدث لنا معاً.. تجاذب طبيعي.

ضحكت ميريام سخرية: «حقاً عزيزتي.. يا لسذاجتك! كان غارث يستغلك. لقد أوضحت أنك سهلة المنال، وبكل بساطة، أخذ ما هو معروض

عليه».

صاحت صيحة عذاب من القلب لم تستطع كبتها: «لا!».

ـ أوه.. بلى.

دفعت ميريام كرسيها عن الطاولة، ووقفت..

ـ مع ذلك.. لن يقبل أن يشاركه أحد بك عزيزتي.. كنت غبية لأنك شجعت ذلك الشاب على زيارتك خلال غيابه.

صاحت أسينا: «لم أفعل هذا».

لم تكن تنوي أن تترك لميريام فرصة رؤية الألم الذي تسببه لها.. لكن الأمر كان مستحيلاً.

ـ لكن.. يجب أن أحذرك أنه لن يكون متعاطفاً معك اليوم.

ذهلت أسينا.. وارتدت إلى ميريام، والرعب في عينيها.. لقد عاد غارث إذن.. وقابلته ميريام.

همست بصوت خشن: «وهل عاد غارث؟»

ـ أجل.. لقد عاد. وهو في المكتبة إذا أردت مكالمته.

خرجت ميريام وأقفلت الباب وراءها بلطف.. أما أسينا فبقيت مسمرة في مكانها تحدق الى الخشب اللماع، وفي عينيها الخضراوين ذهول.. لقد عاد غارث وهي في الخارج، وعرف كل شيء، بل أكثر من كل شيء. ماذا يجب أن تفعل؟ كانت مرتبكة، تعيسة، ولم تستطع إخراج كلمات ميريام من رأسها.. ولم تسمح لنفسها أن تصدقها، مع ذلك لم تستطع أن تنساها.

وقفت ببطء.. لم يكن أمامها سبيل سوى مواجهة غارث.. لا حل آخر.. ولاح باب المكتبة أمامها بسرعة، فترددت أمامه لحظة، ثم رفعت يدها تقرعه بضربات حادة بدت مرتفعة وعدوانية. لم تسمع رداً، لكنها عرفت أنه في الداخل، وأنه لا ينوي أن يفتح لها الباب.. سحبت أنفاساً أخرى مرتجفة وفكرت أنه ليس هناك ما تخسره.. لن تستطيع الابتعاد قبل أن تتكلم معه.

وضعت أصابعها فوق المقبض، ودفعته.. كانت تتوقع أن يكون موصداً لكنه انفتح، فدخلت وساقاها مرتجفتان ولكنها رفعت ذقنها وكأنها تستعد

لتلقي ضربة.. كانت الغرفة شديدة الإضاءة بعد عتمة الممر، ولزمها لحظة لتتكيف عيناها مع النور.. ثم رأت أن غارث موجود. كان رأسه الأسود الشعر منحنياً وهو يحدق إلى كومة أوراق فوق المنضدة.. لكنها أحست أنه لا يرى الأوراق حقاً.. كان يعي وجودها بقدر ما تعي وجوده، لكنه لن يرفع رأسه.

خطت إلى الأمام خطوة، ثم أخرى، وتمنت لو تستطيع السيطرة على نبضاتها المتسارعة، وأن لا تشعر دائماً بالضعف لحظة يظهر أمامها.. أخيراً رفع رأسه، فتوقفت كالميتة.. فقد صفعت عيناه الزرقاوان وجهها بحدة.. وترنحت كأنه هاجمها جسدياً.

همست: «غارث.. أرجوك.. لا تنظر إليّ هكذا».

ـ وكيف يجب أن أنظر إليك أسينا؟ هل أتقدم لآخذك بشغف بين ذراعي؟ أهكذا تفضلين أن يستقبلك عشاقك؟

ـ غارث، يجب أن تتركني أشرح لك.. أنا لم أدعُ لويد.. صدقاً لم أدعه.. ولقد أصبت بالذعر حين وصل.

أخذ يرقبها والكراهية والعذاب في عينيه:

ـ لقد أخبرتني ميريام كم كنت مذعورة.

ـ لقد عانقني لويد غرايشام.. لكنني لم أرد عناقه! صدقاً غارث!

جمدتها النظرة في عينيه جمدتها في مكانها:

ـ يا إلهي أسينا! لا أظنك تعرفين معنى كلمة الصدق.. خدعتني منذ البداية.. لكنني كنت أعمى ولم أرَ أبعد من ابتسامتك الحلوة المرحبة، أو هذا الجسد الشهي.. أردت أن أصدقك.. فقد كنت غبياً!

وقف على قدميه وارتد بحدة إلى النافذة، يتطلع إلى الخارج وظهره لأسينا:

ـ لن أسمح لك بهذا بعد الآن.. لقد انتهينا! لقد انتهى كل شيء بيننا! عودي إلى لويد غرايشام، أو برايان، أو الى أي كان.. لكن دعيني خارج خططك من الآن وصاعداً.. فالله يعرف.. لقد حصلت على ما يكفي.

كان في صوته ألم وغضب وازدراء، لكن أسينا لم تسمعه. كانت مشغولة بمحاربة ضعفها، تكافح لئلا تبكي.. فقد مزقتها كلماته، وظهر عليها هذا، فأحنت رأسها تخفيه، لكنها عرفت أنه ارتدّ يراقبها، منتظراً أن تتكلم.. لكن الكلمات علقت في حنجرتها.. لو كان يهتم، لحاول الإصغاء اليها قبل إصدار حكمه عليها، لكنه اتخذ قراره ولن يستمع إليها.. فما فائدة الاحتجاج ومحاولة إثبات براءتها.. وكما قالت ميريام.. غارث لا يهتم. إنها لاتعني سوى رغبة عابرة له، وهذا كل شيء.

همست: «يؤسفني أن تكون النهاية هكذا».

تلاشى لون وجهه، وابتعد عن النافذة:

ـ أنت تعترفين إذن؟ تقولين إن هذا صحيح؟

هزت رأسها بقلق.. تحس بالهزيمة. وكأن «الأدرنالين» قد جف من شرايينها.. عرفت أن الحياة ستستمر، وستستمر معها، لكن في هذه اللحظة، كل ما كانت تريده أن تهرب وتختبيء.

قالت بصوت منخفض: «أنا لا أعترف بشيء غارث.. قلت لك الحقيقة.. ولا حول لي إن كنت لم تصدقني».

قبل أن يستطيع قول شيء.. قبل أن يدرك ما تنوي، توجهت تتحرك نحو الباب.. بدت المسافة طويلة أمامها. كان رأسها مرفوعاً وخطواتها بطيئة مع أنها كانت ترغب أن تركض، لكنها أخيراً وصلت، دون أن تلتفت مرة واحدة، وأقفلت الباب خلفها بهدوء.. شكراً لله أن هذا يوم أحد، ووصلت إلى ممر غرفتها.. لن تضطر إلى التمثيل على أحد، ولن تضطر للادعاء أمام أحد.

انهمرت الدموع على خديها، تبلل وسادتها.. لقد جرحها غارث بشكل سيء اليوم، لكنها ملامة.. لأنها سمحت لغارث بالاقتراب منها.. وسيمر وقت طويل قبل أن تسمح لأي رجل كان بالاقتراب نصف المسافة التي سمحت لغارث ستون الاقتراب منها.

***

١٠ ـ عندما تقتل الغيرة

في نهاية شهر حزيران، انقلب الطقس كلياً... إذ اكتأبت السماء، وعمّ الضباب الذي حوّل البحر الأزرق إلى بحر رمادي خطر، مغطى بالزبد الأبيض.. خافت أسينا أن يؤثر هذا في الإنتاج فيؤخره.. فالتفكير بيوم إضافي، أو بساعة حتى، في موقع التصوير، تراقب غارث وتكلمه وتتظاهر أن كل شيء على ما يرام، كان نوعاً خاصاً من العذاب لها..

الآن، وأخيراً، وصل آخر يوم لها في الموقع.. وكانت أسينا متجمدة، ترتجف برداً.. هبت الرطوبة من البحر مباشرة.. فشدت عباءتها السوداء حول كتفيها أكثر فأكثر، وضاقت عيناها في مواجهة الريح وهي تنظر إلى الخليج تحتها، كان الرجال قد اتخذوا مواقعهم ووضعوا الكاميرا لتصويرها وتصوير مريام على الصخور حيث يظهر القتال الجاري بين لصوص السفن والجنود على الشاطىء.

هبت الريح فجأة، فالتصقت أطراف تنورة أسينا المبللة بساقيها.. وانتشر شعرها البرونزي الذي غزا عينيها، فرفعت يدها تبعده.. قاومت الريح لحظات ثم تخلت عن المقاومة، وارتدت متنهدة، وظهرها إلى عوامل الطبيعة.. كانت ترى أن فريق العمل يكافح لتثبيت المعدات في أماكنها.. وبدا المنحدر الصخري المعشوشب صاخباً بالنشاط المحموم، وغارث ستون وسط كل شيء.

راقبته أسينا والألم في عينيها.. إنه متعب ومبلل ويشعر بالبرد مثلها.. شعره الأسود ملتصق إلى رأسه وسترته الخضراء المضادة للماء مفتوحة ترفرف

مع الريح.. لماذا يجب أن تكون على هذه الدرجة من الغباء؟ حتى الآن وبعد كل ما حدث، ما زالت تحبه.. ما الذي فيه حتى يجتذب حبها هكذا؟ ما الذي يجعلها تستمر في حبه وهي تعرف تمام المعرفة أنه لا يبادلها مشاعرها؟ لقد نما حبها له ببطء وثبات بحيث أخذها على حين غرّة.

كان غارث يأخذ رأي پاين مدير التصوير. لكن مريام تقدمت إليه، ملتفة بعباءة صوفية سوداء كالتي تضعها أسينا، وهو زيّ مطلوب في السيناريو. التوى قلب أسينا ألماً في صدرها. ما زالت غير قادرة على رؤيتهما معاً دون الإحساس بالألم المألوف.. وما زالت لا تعرف ما إذا كان غارث يحب مريام أم لا، لكنها تشك أنه يحبها.

لكنه لم يكن يبتسم الآن، كما لاحظت.. وكانت مريام ترفع نظرها إليه بلهفة، ووجهها الجميل شاحب، تشد أصابعها باضطراب إلى كم سترته.. بدا وكأنها تتجادل معه. وهز غارث رأسه، واستطاعت أسينا أن تقرأ الوميض الغاضب في عينيه من حيث تقف.. قالت مريام شيئاً آخر له.. وأجيبت بسلبية حادة، ثم جمدت أسينا في مكانها.. لقد ارتدت نظرة مريام بحقد نحوها وأخذت عيناها الزرقاوان تقدحان شرراً، وبدا لأسينا أن موجات ألم وحقد تتطاير نحوها وتمسك بها.. كان الإحساس هذا قوياً بحيث تراجعت أسينا دون وعي.. وفكرت للحظة أن مريام ستتقدم وتهاجمها جسدياً..

زفرت أسينا أنفاسها المكبوتة في تنهيدة صغيرة مضطربة.. ماذا يعني هذا؟ إنها متأكدة أن غارث ومريام يتشاجران، وللشجار علاقة بها.. ولكن ما الذي قاله غارث لتغضب مريام إلى هذا الحد. كان غارث ينظر إليها وعيناه الزرقاوان تخترقانها، ولم تستطع أن تبعد نظرها عنه.

ارتجفت كورقة شجر، لأنها رأت غارث يتوجه إليها، يلحق به راين پاين.. أخيراً توقف أمامها، وامتدت يداه تمسكان أصابعها الباردة بين أصابعه.. كانت مصدومة، مذهولة أكثر من أن تحاول سحبها منه.

قال بكلام واضح: «أسينا.. يجب أن أتحدث إليك».

كان صوته منخفضاً أجش من قوة مشاعره ولكنه لم يقل أكثر من هذا.

وبدا راي پاين إلى جانبه وعيناه القلقتان مثبتتان على غارث، ولا يبدو أنه رأى أسينا.

ـ غارث.. ما الذي سأفعله بالكاميرا الثانية؟.. تكاد تدفعني إلى الجنون!

كان غارث يسحق أصابع أسينا بين أصابعه، لكنه أدار رأسه وفكه مشدود ليقول بنصف غضب ونصف تنهيدة نافذة الصبر:

ـ ألا يمكن الانتظار راي؟ أنا أحتاج أن أتكلم مع أسينا بأمر مستعجل!

ـ أنا آسف غارث.. لا تستطيع فعل شيء قبل أن نسوي أمرها.

ـ حسن جداً، أنا قادم.

التفت إلى أسينا متنهداً من جديد:

ـ أراك فيما بعد أسينا.. ألا بأس في هذا؟

هزت رأسها وعضت شفتها. إنه لم يتكلم معها لأسابيع.. والآن هذا.. كان في عينيه شوق.. فماذا عليها أن تظن؟ هل هذه لعبة «سادية» وهي الضحية فيها؟.. كانت واقفة في مكانها مطرقة الرأس، حين تقدم هيوغ فيلدنغ ليأتي بها من أجل المنظر النهائي.. مع ذلك بحثت عيناها عن غارث، لكنه كان مشغولاً مع راي والكاميرا الثانية، ولم ينبئها رأسه المحني أي شيء.

ضغط هيوغ ذراعها.. فاضطرت إلى إعادة اهتمامها إليه. وابتسم:

ـ هذه هي أسينا.. المرحلة الأخيرة حبي.. حظاً سعيداً.. ومنا جميعاً.

ابتسمت له متأثرة وعيناها الخضراوان مغرورقتان بالدموع.

ـ شكراً هيوغ.

كان جميع العاملين معها لطفاء.. لو سارت الأمور على ما يرام بينها وبين غارث، لكانت تجربة رائعة.

ارتفع صوت هيوغ محذراً، وأبعدت أسينا أفكارها لتركز على المشهد القادم.. وتحركت ميريام إلى موقعها لتقترب من أسينا، وشعرها الأشقر يتطاير حول رأسها، ليعطيها مظهراً غريباً كالمخبولة. بدأت الكاميرات تدور.. وسارت ميريام بشكل مهدد نحو أسينا كما يستدعي السيناريو..

حاولت أسينا التركيز على دورها، لكنها وجدت صعوبة مذهلة. كانت واثقة أن ميريام قد اتخذت لنفسها موقعاً تدفعها فيه للوقوف قرب حافة الجرف الصخري.. وحاولت أن تمحي من ذاكرتها النظرة السريعة التي ألقتها على الهاوية المخيفة، التي تنتهي إلى صخور ناتئة حادة.. سحبت نفساً عميقاً ثابتاً وهمست لنفسها:

ـ لا تجبني الآن أسينا.. هذه آخر مرة.

نظرت ميريام إليها بحقد وعيناها الزرقاوان تقدحان شرراً.. وقالت بصوت يفحّ كالأفعى:

ـ لقد قتلوا ريتشارد وأنت الملامة.. جئت بالجنود إلى هنا!

ارتجفت أسينا.. واخترقت رغبة هستيرية خوفها.. هذا ليس تمثيلاً.. تستطيع لعب هذا الدور دون سيناريو.. لا تحتاج أن تتظاهر.. إنها فعلاً مذعورة.

ارتدت أسينا خطوة.. تحاول التراجع.. لكن يدي ميريام امتدتا إليها، تمنع هربها.

ـ أتظنين أنك كسبت... لكنك لم تكسبي فرانسواز دوروا.

كانت ميريام تصيح وأنفاسها متثاقلة وكأنها كانت تركض، أسنانها البيضاء الصغيرة مكشوفة في تكشيرة تكاد تكون حيوانية.

أجفلت أسينا وسحبت نفسها مجدداً لأن أصابع ميريام انغرزت في لحمها.. أخذت ميريام تضحك.. وتركت إحدى ذراعي أسينا، تشير من فوق الصخور إلى الشاطىء حيث الصخور الناتئة.

ـ حبيبك هناك في الأسفل.. أتظنين أنه آمن في القرية؟ لا.. إنه ليس كذلك.. سيقتله الجنود أيضاً ولن تريه مجدداً.

وفيما كانت تتكلم، خطت خطوة أخرى نحو الحافة، وشدّت أسينا معها.. في تلك اللحظة سمعت أسينا صوت غارث يصيح:

ـ أوقفوا التصوير.. حباً بالله ميريام، تراجعي عن الحافة!

لكن ميريام لم تسمع على ما يبدو، وانحنت كالمجنونة فوق الهاوية..

وكأنها تبحث عن حبيبها على الشاطىء.. كانت أسينا تراقب تراجع رأس ميريام، ثم نظرت إلى الأرض تحت قدميها.. وإذا بها ترى الأرض تتحرك.. وتنهار بصمت بعيداً.

استرخت قبضة ميريام عن ذراع أسينا وهي تحاول التراجع.. لكن الوقت فات، وخرست أسينا عاجزة، وتسمّرت فوق الأرض غير الآمنة.. حدث كل شيء بسرعة، وكأنه غير حقيقي.. مجرد كابوس مرعب سنستفيق منه في أية لحظة. ورأت يد ميريام ترتمي إلى الخارج تتوسل للمساعدة، وتصيح باسم غارث مرات ومرات، وحاولت التمسك بالأرض المنهارة وهي تقع على ركبتيها وتنزلق إلى الحافة، ببطء...

كان الطقس بارداً.. وارتجفت أسينا دونما سيطرة على نفسها وهي تصغي إلى الصوت الذي كان يطرق دون كلل على عقلها المتوقف عن العمل.

ـ أسينا.. يجب أن تستفيقي! لا يمكن أن تكوني ميتة! يا إلهي! لم أقصد هذا! أردت فقط أن أخيفك.

عرفت أسينا أنه صوت ميريام.. لكنها لم تفهم ما يعنيه.. بدت ميريام مذعورة.. أما زالا يمثلان أمام الكاميرات؟.. هل عانت صدمة مؤقتة، وفقدت وعيها؟ تأوهت عالياً، وحاولت الجلوس.. لكن بدا وكأن هناك ثقلاً كبيراً يثبتها إلى الأرض.

ـ أسينا هل أنت بخير؟ حباً بالله.. ردي علي.

هذا صوت غارث بالتأكيد.. إذن فالأمر صحيح. لا بد أنها غابت عن الوعي خلال التصوير.. حاولت فتح عينيها، لكن جفنيها كانا مثقلين كأن فيهما رصاص.

ـ لقد تحركت غارث.. إنها حية!

هذه ميريام مجدداً، وبدا أنها كانت تبكي.. كل هذا صعب جداً على فهم أسينا.. إنها متعبة، متعبة جداً.. ومن السهل أكثر أن تنام، دون أن تزعج نفسها بالتحرك، وكان يمكن لها أن تنام لولا أن غارث وميريام ما زالا يصيحان فوق رأسها، ويزيدان الألم الذي كاد يشق رأسها.

ارتفع صوت ميريام بذعر إلى جانب أذن أسينا:

ـ الحافة لا تزال تتهاوى.

وازداد ألم رأس أسينا.. وسمعت صوت غارث وكأنه يأتي من بعيد:

ـ حباً بالله.. اجعليها تستفيق ميريام! لقد أرسلنا في طلب النجدة، ولا شيء نفعله حتى تصل. ليس لدينا حبل، والحافة غير مستقرة لذا لن أستطيع النزول فإن نزلت فقد نقع جميعاً، يجب أن نوقظها! حاولي ميريام.. حاولي!

قالت ميريام بصوت مرتجف:

ـ لا أستطيع.. ولا أستطيع الحركة.. لقد حاولت.

كان صوتها متحشرجاً بخوف وألم.. وسمعت أسينا صوت تأوه غارث من مكان بعيد.. ببطء أجبرت نفسها على فتح جفنيها.. للحظة مادت السماء من فوقها.. كانت الغيوم الرمادية تقترب من قمم الأشجار النامية على الصخور.. رفعت يدها ببطء شديد، وضغطت جفنيها المتألمين.

ـ ماذا حدث؟ أين أنا؟

كان صوتها هامساً متحشرجاً يبرز الخوف والتشوش في دماغها.

صاحت ميريام بصوت حاد مرتفع: «إنها تستفيق! لا بأس عليها غارث».

تأوهت أسينا ألماً.. وأجبرت الكلمات على الخروج من بين شفتين جافتين:

ـ أرجوك ميريام.. لا تصيحي هكذا.

جاء رد ميريام المرتجف من وراء رأس أسينا:

ـ أنا آسفة أسينا.. ستفهمين كل شيء بعد لحظات.. لكن لا تتحركي.. ولو إنشاً واحداً. نحن عالقتان على حافة هي في الوقت الحاضر صامدة، لكنها ليست صلبة.. اجمدي.. ابقي جامدة جداً!

أرادت أسينا أن تتحرك.. لكنها كانت عالقة في كابوس من الألم وعدم الفهم.. لم تكن ترى شيئاً سوى الغيوم المتسارعة، والهوة المخيفة.. وتأوهت مرة أخرى تشد أسنانها لتمنع الصوت.

قالت ميريام: «لا تقلقي أسينا.. لقد وقعنا عن الحافة، ولا بد أنك صدمت رأسك وأنت تهبطين.. لهذا تحسين بمثل هذه الغرابة.. إذا بقيت دون حراك سنكون على ما يرام... لقد ذهبوا يطلبون النجدة.. لكنك غبت عن الوعي لوقت طويل».

جاء صوت غارث مجدداً من مكان بعيد فوقهما:

ـ أسينا.. حبيبتي.. هل تسمعيني؟

أحست بلهفة مفاجئة إلى رؤية وجهه، فتحركت دون تفكير، ودفعت بيديها فوق الأرض، تحاول رفع جسمها، وكان هذا آخر ما تسمع.. وصرخت بصوت مرتفع لأن موجات ألم تصاعدت من معصمها إلى كتفها.. وصاح غارث باسمها، لكنها تراخت إلى الوراء دون حراك، تغمض عينيها وفقدت الوعي مجدداً.

صحت على وهج نور المساء الذي ينير غرفة بيضاء وكانت تشعر بألم لا يطاق.. كانت ذراعها اليسرى تضج بالألم وبصرها يدور ويتلوى في ضبابة ألم.. ما تزال في كابوس.. وبدا من المستحيل أن تتخلص. حاولت رفع رأسها لترى ما حولها.. لكنها تأوهت بصوت مرتفع وانهارت إلى الخلف فوق الوسادة فقد استولى الألم عليها مجدداً..

سرعان ما تحرك الطيف الجالس إلى جانب سريرها لينظر إلى وجهها.. وهمست: «أين أنا؟».

عاد أولئك الرجال الصغار مع مطارقهم إلى العمل مجدداً.. يعتمون نظرها، ويضربون دون كلل على رأسها.

ـ أنت في المستشفى آنسة لورد. ألا تذكرين؟

كان صوتاً شاباً لطيفاً مطمئناً، وارتفع جفنا أسينا المثقلان.. وأخذت عيناها تتركزان ببطء على الطيف المرتدي البدلة الرسمية.. ثم أغمضت عينيها مجدداً.. إنها تتذكر الآن.. تتذكر كل شيء بوضوح.

حركت رأسها بضعف على الوسادة:

ـ أتذكر الآن تماماً. كان الأمر رهيباً.. ظننت أنني ميت.

مالت الممرضة إلى الأمام وسوّت لها الوسائد بلطف وهي تتمتم: «كنتما محظوظتين».

فتحت عينيها مجدداً، وهمست: «ميريام.. هل هي بخير؟.. ماذا جرى لي؟ لماذا أنا هنا؟».

كان صوتها حاداً مذعوراً، وحاولت الجلوس مرة أخرى فاضطرت الممرضة إلى دفعها بلطف إلى الوسادة:

ـ لديك جرح عميق في رأسك، ويجب ألا تلمسيه أو تزيلي الرباط.. ضلوعك مرضوضة، وذراعك اليمنى مصابة.. لكنك ستشفين.. أما الآنسة لوروا، فأخشى أن يكون عمودها الفقري قد أصيب.. لكن لا تقلقي الأطباء واثقون أن إصابتها ليست بالسوء الذي ظنناه في البداية.

تنهدت أسينا بثقل.. وسمعت الممرضة تتحرك في الغرفة، لكنها أغمضت عينيها، محاولة إبعاد الحقيقة القاسية..

قالت الممرضة بلهجة مهدئة:

ـ لقد أجريت للآنسة لوروا عملية واحدة.. ويجب أن تستفيق من المخدر قريباً. السيد ستون معها الآن.. وأعرف أنه آتٍ ليراك قبل أن يغادر المستشفى.. وعندئذ سيخبرك المزيد بنفسه.

ـ شكراً لك.

وأغمضت عينيها بشدة لتمنع الدموع الساخنة التي أحرقت جفنيها.. غارث وميريام معاً الآن.. كان يجب أن تتوقع هذا طبعاً.. لكن هذا يؤلم.. من الجنون أن تتذكر تلك اللحظة القصيرة عند طرف الصخور حين حاول أن يكلمها. لم يكن يعني شيئاً.. إنه يحب ميريام.

مالت الممرضة إليها بلهفة: «هل تحسين بألم كبير آنسة لورد؟».

ألم تصور غارث وميريام معاً لا يحتمل.

تمتمت: «أجل.. كثيراً».

أنزلتها الممرضة إلى الوسادة، وقالت بهدوء:

ـ حاولي أن تنامي الآن.. ستشعرين أنك أفضل حالاً في الغد.

ولم تكن الكلمات مساعدة.. فهي تعرف أن ألم حبها لغارث سيبقى معها لأمد طويل قادم.. لكن الأقراص التي تتناولها حققت أخيراً هدفها.. وخدرت الألم في ذراعها ورأسها حتى أوصلتها إلى نوع من الغيبوبة.. لكنه كان نوماً متقلقلاً. وعندما استيقظت بشكل كلي، كان الوقت ليلاً ومصباح ناعم مظلل يضيء قرب سريرها.. كان هناك شخصان في الغرفة.. أدارت وجهها قليلاً.. لكنهما كانا في الظل، أبعد من حدود رؤيتها.

ـ النبض والحرارة جيدان.

ـ هذا أمر مطمئن.

ـ إنها مضطربة كثيراً، لكنها استعادت وعيها تماماً.

ـ وهل قيل له؟

كان الصوت النسائي الناعم إيجابياً:

ـ آه.. أجل.. ولاقيت صعوبة كبيرة في إقناعه أنها لن تصحو مرة أخرى قبل وقت طويل.. قلت له إنني أعطيتها الدواء الذي وصفه الطبيب لها.. ويجب أن يستريح طالما هو قادر.

ضحكت: «إنه رائع.. أليس كذلك؟ ليتني أقع من فوق الحافة بنفسي إذا كان هو سينقذني».

عندما استيقظت في الصباح كانت تحسّ بالريح والعاصفة والموج في أذنيها. كانت الصخور مدببة تنتظرها، وهذه المرة ليس هناك من سينقذها. واندفعت تجلس في السرير وراحت يدها غير المصابة تضغط على فمها لمنع صيحة الرعب.

وارتدت عيناها إلى الطيف الجالس إلى جانبها:

ـ لا.. لا، لا تدع هذا يحدث مرة أخرى.. أرجوك!

توقعت أن تكون الممرضة الشابة، لكنها وجدت غارث. كان جالساً على السرير إلى جانبها، وانطلقت يداه تمسكان بكتفيها:

ـ أسينا.. أنت سالمة الآن.. لن أدع هذا يتكرر.. أنت معي.. هذا مجرد حلم.

في لهجته عذاب.. للحظة وجيزة نسيت أسينا كل شيء إلا حاجتها الحارقة الجائعة إليه وأخذت تصيح: «غارث.. أوه.. غارث»!

شهقت شهقة مخنوقة ورمت بنفسها إلى ذراعيه تتعلق به يائسة، وتدفن وجهها في صدره.

ضمها بشدة وضغط فمه على شعرها المبلل بالعرق.

ـ أسينا.. أسينا.. كنت قلقاً كثيراً.. حين رأيتكما تختفيان من فوق الحافة، ظننت أنني سأموت.

أعاد صوته الأجش أسينا إلى الواقع.. لقد نسيت ميريام، نسيت كل شيء، إلا شوقها إليه.. لكنها الآن تذكرت كل شيء.. لا يحق لها أن تكون بين ذراعيه، إنه يضمها لأنه مشفق عليها.. وهذا كل شيء.. إنه يحب ميريام.

مع ذلك لم تتحرك على الفور.. إذ يحق لها بشيء ما! حتى ميريام لن تحرمها هذه اللحظة. تعلقت به لثوان ثمينة أخرى، تنعم بدفئه وقوته.. تشعر بقماش قميصه الخشن على بشرتها، وتسمع دقات قلبه المتسارعة. إنها تحبه، تحبه كثيراً، لكن لا جدوى.. بذلت جهداً كبيراً لتنزع نفسها منه ثم رفعت رأسها ولم يكن هناك ما يفضح مدى هشاشة مشاعرها غير شفتيها المرتعشتين.

همست: «أنا أسفة.. خفت كثيراً».

نظر إليها بعينيه الزرقاوين الدافئتين الحنونتين بشكل يبعث على الاضطراب:

ـ لا تأسفي.. كنت رائعة أسينا.. لقد خاطرت بحياتك من أجل ميريام.. لا تعتذري لأن عليّ أنا أن أعتذر.. ما كان يجب أن أترك أياً منكما تقف حيث كنتما.. لكنني لاحظت هذا بعد فوات الأوان.

هز رأسه، ووقعت خصلات شعر الأسود على جبهته:

ـ لا أظن أنني سأنسى هذا أبداً، أو أسامح نفسي.

تراجعت متعبة إلى الوسادة: «لم تكن غلطتك غارث.. ويجب الا تلوم

نفسك..».

وقاومت الرغبة في البكاء.. إنه آسف عليها ولا يمكنها تحمل هذا.. ليس الآن.

مد يده وكأنه يريد أن يمسك يدها:

ـ أسينا.. سألوم نفسي دائماً.

تجنبت أسينا يده، بأن رفعت يدها إلى رأسها، تتحسس الضمادة بأصابع مرتجفة.. ثم سألت:

ـ كيف حال ميريام؟

كان ينظر إليها بغرابة ولم تستطع أن تلتقي بعينيه:

ـ لا نعرف بعد.. ليس بالتأكيد.

كانت لهجته مثقلة بالألم، وأرادت أسينا مجدداً أن تبكي.. لكنها رفرفت الدموع بتركيز شديد.

همست مجدداً: «أنا آسفة.. آسفة جداً.. أعرف كم أنت قلق».

وافقها بصوت أجش:

ـ كنت قلقاً.. في الواقع.. كدت أفقد عقلي وأنا أفكر فيكما مرميتين ومصابتين وعاجزتين عن الحركة.

انخفضت عيناه إلى ذراعها.. وقبل أن تعرف نيته أخفض رأسه بسرعة، وطبع قبلة على أصابعها البارزة من الرباط.. وأطبقت يده بقوة على أصابعها الباردة.

أجفلت أسينا وكأنه طعنها، فسأل بصوت منخفض:

ـ هل تكرهين أن ألمسك إلى هذا الحد؟ لا بد أنك تكرهينني بالتأكيد بسبب الطريقة التي عاملتك فيها.. لكن لم يكن في اليد حيلة.. كنت أحتاج أن ألمسك.. ظننتك ستموتين.. ظننت أنني خسرتك.

عندما رفع رأسه شهقت أسينا وأغمضت عينيها بشدة. وصاحت:

ـ أرجوك غارث، لا تقل هذا! ليس وأنت تعرف أنك لا تعني ما تقول.

وأخذت تنتحب عاجزة وانهمرت دموعها.

صاح غارث صيحة مخنوقة وراحت ذراعاه تلتفان حولها:

ـ لا تبكي حبيبتي أرجوك.. لا أستطيع تحمل رؤيتك هكذا.. كنت غبياً.. ألا تطيقين النظر إليّ أسينا؟ هل تكرهيني كثيراً؟ لا أستطيع لومك.. تصرفت معك بشكل مجحف.. لكنك جرحتني.. وجعلتني أشعر بالضعف والهشاشة وهو إحساس كرهته.. كان يجب أن أنتقم.. ولو كان هذا يعني أن أؤلم نفسي كذلك.

رفعت أسينا جفنيها المرتجفين: «آه غارث! لا تقل المزيد، لا أستطيع التحمل، ليس اليوم».

رأت وجهه، وحركت رأسها من جانب إلى آخر على الوسادة.. أردفت هامسة: «أنا لا أكرهك.. ويجب ألا تلوم نفسك على ما حصل. كانت حادثة.. ولا داعي لقيامك بالتعويض.. أفهم ماذا تشعر.. صدقني أفهم.. ولا داعي لقول المزيد».

وهي تفهم جيداً.. إنه ممتن لها لأنها أنقذت مريام وهو يشفق عليها وهذه الشفقة تمزقها.

مال غارث إلى الأمام، وعيناه مشتعلتان، وقال بصوت منخفض غير سوي:

ـ أسينا أريد أن أشرح لك.. أريد منك أن تفهمي لماذا تصرفت كما تصرفت.. حتى ولو لم تستطيعي أن تسامحيني.. يجب أن أذكر لك أعذاري.

هزت رأسها وهمست:

ـ ليس الآن غارث.. أنا متألمة، رأسي يؤلمني. وأنا أفهم.. صدقني، لا داعي أن تشرح شيئاً أو تعتذر.. ولا شيء يستدعي الغفران.. دعني فقط وشأني الآن.. أحب أن أكون وحدي.

دفع نفسه ببطء ووقف، ولكن وجهه أصبح شاحباً وغرقت عيناه بالعذاب.

ـ أتبعدينني عنك؟

أبقت أسينا عينيها مغمضتين.. لم تستطع أن تنظر إليه. كانت تعرف أنها

لو نظرت إليه، لتوسلت إليه أن يبقى مهما كانت دوافعه.. إنها بحاجة إليه..

ـ أجل.. أنا أبعدك عني، أنا متعبة، متعبة حتى الموت.. وأحتاج أن أكون بمفردي.

ـ أعتقد أنني لا أستطيع لومك.. إذا غيرت رأيك، فما عليك إلا أن تطلبي.. وسأهرع إليك فوراً.

ثم نظر نظرة عذاب أخيرة إلى جسمها المرتجف، وارتدّ على عقبيه مغادراً الغرفة.

ما إن أقفل الباب حتى تدفقت دموع أسينا.. بكت وكأن قلبها سينفطر.. ولقد أحست فعلاً أنه سينشق. لقد بدا أن غارث يعرض عليها الكثير، بينما كلماته كلها جاءت بدافع الشفقة والشعور بالذنب.

انفتح باب غرفتها فجأة وارتدت عيناها نحوه.. نصف آملة، ونصف خائفة أن يكون غارث قد عاد، لكنها كانت الممرضة الشابة.. نظرت إلى قسمات أسينا المضطربة وعادت راكضة عبر الممر لتحضر رئيسة الممرضات. واستراحت أسينا حين استدعيت رئيسة الممرضات بدورها طبيباً وصف المزيد من أقراص الدواء ومهدىء الألم..

لسوء الحظ، حتى وهي على هذه الحال ظلت صورة غارث ستون الضبابية تلاحقها.. كانت تراه في كل وقت صاحية أم نائمة ولم تكن قادرة على الخلاص منه. عرفت أن عليها استعادة صحتها بأسرع وقت ممكن.. ولن تأمل أن تتحرر من وجوده المعذب إلا إذا وضعت أكبر مسافة بينهما..

لم يعد غارث لزيارتها، وهذا ما آلمها كثيراً.. ولكن لو جاء لاضطرت إلى إبعاده مرة أخرى.. أمضت ساعات طويلة تحفظ عن ظهر قلب الكلمات التي ستستخدمها: علاقتهما القصيرة كانت غلطة.. ولقد أدركت هذا قبل وقت طويل من حصول الحادثة.. هذا ما تنوي قوله ولكن لم يكن هناك داع إلى حفظ ذلك لأنه لم يظهر وهذا دليل على أنه يمضي وقته مع ميريام.

عرفت أسينا أن النجمة تتحسن ببطء.. فقد تلقت منها رسالة أملتها

على الممرضة لتوصلها إليها.. لكنها لم تذكر غارث فيها.. وكانت تقول:

«عزيزتي أسينا.. أرجوك سامحيني لأنني ورطتك في الحادثة.. أعترف أنني كنت أعرف خوفك من المرتفعات، وتعمدت إخافتك بإجبارك على الوقوف فوق الحافة.. وأظنك الآن تعرفين السبب، ولكنني لم أكن أنوي أذيتك.. كما حصل.. أعرف أنك حاولت إنقاذي.. وقد قمت بهذا بعدما تصرفت معك بأسوأ الطرق! ماذا أقول؟ أنا أسفة، وآمل في المستقبل أن تتاح لي فرصة التعويض لك».

أبكتها الرسالة التي أعادت الكثير من الذكريات، لكنها لم تكن تحمل ضغينة لميريام أبداً فقد أدركت إلى أي مدى قد تدفع الغيرة الإنسان.

في نهاية الأسبوع الثاني، أصبحت أسينا بصحة تساعدها على قضاء معظم وقتها خارج السرير.. وعرفت أنها ستكون حرة لمغادرة المستشفى في بضعة أيام.. وفي هذه الأثناء تلقت عدة مخابرات مذعورة من أمها، ولاقت صعوبة كبيرة في إقناعها ألا تسرع للمجيء على الفور.. فهي لا تريد أن يثير أحد ضجة حولها.. فيضعفها هذا.. وهي بحاجة إلى كل القوة التي تستطيع جمعها معها، لتقاوم الإغراء الذي يدفعها للاتصال بغارث..

كان وكيل أعمالها من أول الزائرين وقد اتى برفقة بروان التي ذعرت حين دخلت إلى غرفة المستشفى ورأت أسينا مستلقية ضعيفة شاحبة والرباطات على جبينها وذراعها.. وصاحت: «حبيبتي.. ماذا فعلوا بك.. أنا لا أستطيع تركك تغيبين عن نظري لحظة».

ثم تنازعها البكاء والضحك، وأحست أسينا بالإحساس عينه.. كان من الرائع أن تراها، فهي ستشعر بالراحة إن بثت روان همها دائماً.. لكن وكيلها دخل إلى الغرفة وراء صديقتها مباشرة، يبتسم وبين يديه باقة ورد كبيرة.. لذا، وبدل من أن تبكي، أجبرت أسينا نفسها على الضحك.

ـ قد أبدو كمومياء مصرية.. لكنني لست جاهزة لدخول القبر بعد.. فلا تقلقي.

كانت روان مضطرة للعودة إلى لندن تلك الليلة، فلديها مهمة تصوير في

الصباح التالي. . لكن أسينا تلقت زيارات كثيرة من جميع العاملين في الفيلم، وطاقم الممثلين.

جلست في الكرسي إلى جانب سريرها، تدير عينيها في غرفة المستشفى الصغيرة. . كان كل سطح متوفر لأي شيء، مغطى بالزهور. . البعض أعطي لعنابر أخرى. . ولكنها أصرت على استبقاء المزهرية، القارة الصغيرة قرب سريرها واتجهت عيناها إليها وهي تتذكر البطاقة التي رافقت الورود البيضاء الناصعة. لم يكن فيها جمل منمقة بل ببساطة «إلى أسينا. . مع حبي. . من غارث» وعرفت أنها ستحافظ على هذه البطاقة بإعزاز مدى الحياة.

أما الباقة التي كانت خلفها فتلقتها من برايان وبام. . العزيز برايان. . الذي تكدر كثيراً عندما رآها هكذا.

قال لها في أول زيارة له:

ـ كنت على الشاطىء ساعة وقعت. . يا إلهي أسينا. . لم أستطع أن أصدق ما يحدث. . صعدت السلم الحجري إلى أعلى الصخور بسرعة الضوء.

ضحكت بارتجاف:

ـ وأنا لم أصدق أنه كان يحدث. . وما زال يبدو لي غير حقيقي.

تمتم برايان: كنت محظوظة. . لكن ما الذي دهاك لتتمسكي بميريام كما فعلت؟ كان يجب أن تعرفي أنك لن تستطيعي إنقاذها.

رفعت أسينا كتفيها. . لقد كررت السؤال عينه على نفسها مراراً.

ـ أعتقد أنها الغريزة. . في تلك اللحظة بدا لي أن هذا هو الصواب في تلك اللحظة. . أنا بكل تأكيد لست بطلة، ولا أظن أنني قد أفعل هذا مجدداً. في الواقع أنا متأكدة أنني لن أفعل.

ـ كان ستون يبكي حين جاؤوا بك على الحمالة، وكنت أوشك أن أبكي.

أطرقت برأسها تتلاعب بالغطاء: «غارث في غاية اللطف».

تمتم: «هل كان لطيفاً حقاً؟ حقاً أسينا؟ إذن لماذا لم تستقم الأمور بينكما بعد؟ لماذا ما يزال يسير هائماً كالشبح؟».

رفعت رأسها، تهمس: «إنه قلق على ميريام. . وأنت تعرف هذا».

ـ ميريام تتحسن باضطراد. . والأطباء يقولون إنها ستسير ثانية دون شك.

حركت أسينا رأسها: «إنه يلوم نفسه لما حدث. .».

صاح برايان: «هذا ليس سبب تآكل قلبه. . لماذا توقفت عن رؤيته؟ ما هذا الجنون الذي دخل إلى رأسك الغبي في هذه المرحلة. .؟ أنا لا أصدق حقاً أنك لا تريدين رؤيته».

اختنقت، وأدارت عينين متورمتين إلى برايان:

ـ لا أريد. . إنه مشفق علي. . يعرف حقيقة شعوري نحوه، ويشفق عليّ. . ولا أتحمل هذا!

ـ إذا كانت الشفقة هي التي تحوله إلى هيكل عظمي متحرك، فسأكون دهشاً. . أنا متأكد أنه جاء ليزورك وقدم اعتذاراً، وأنت صرفته عنك! لماذا؟

ـ آه برايان لم يكن الأمر هكذا!

سأل بلهجة ملؤها الريبة.

ـ لا؟ أسينا لورد أحياناً أتساءل ما الذي يجري في رأسك هذا. . ربما تكون صدمة الوقوع قد أثرت في توازن عقلك. . غارث ستون واقع في حبك، وليس في حب ميريام. . وأنت تفسدين أفضل الفرص للقائه ثانية، والسبب كبرياؤك الغبية.

رأى تعابير وجهها لكنه أضاف دون شفقة:

ـ لهذا السبب أسينا، كنت أظنه غبياً. . . لكنني بدأت الآن أظن أنك مثله بل أكثر منه غباء.

ضحكت أسينا. . فابتسم برايان بدوره، وضغط على أصابعها:

ـ هكذا أفضل. . فكري في ما قلته لك. . وافعلي شيئاً بهذا الخصوص. . وقبل أن يفوت الوقت!

***

١١ ـ الحمقاء الصغيرة

سارت أسينا في الممر تتفحص المستشفى بعناية . . غداً ستعود إلى لندن، ثم إلى أميركا، لتقيم مع أمها وزوج أمها . . لكن قبل أن تتمكن من الخلاص الكامل، يبقى أمامها محنة أخرى يجب أن تمر بها . فمع أن ميريام كانت تتعافى ببطء، إلا أنها ما زلت طريحة الفراش وقد توسلت لأسينا أن تزورها قبل أن تترك المستشفى . . أول ما خطر ببال أسينا هو أن ترفض . ويجب أن تواجه الواقع . . فلن يساعدها أن تتجنب المرأة الأخرى .

توقفت أمام باب غرفة ميريام . . . كان مقفلاً ولم يتناه إليها صوت من الداخل . . دقت الباب دقاً خفيفاً وأدارت المقبض .

ألوان ورائحة الأنواع المتعددة من الزهور، كانت أول ما لاحظته . كانت غرفة صغيرة مثل غرفتها، ورائحة الزهور الغريبة تكاد تكون طاغية على كل شيء . . واتجهت نظرتها بغباء إلى الطاولة قرب السرير . . لم يكن هناك ورود بيضاء . . لكن، بالطبع، لا بد أن غارث أرسل زهوراً إلى المرأة التي يحبها . . ربما تكون تلك الباقة من الزهور الحمراء الضخمة التي تملأ رف النافذة .

أخيراً ارتدت عيناها إلى السرير . . لقد تعمدت تأخير اللحظة . . وأدركت أنها كانت خائفة من ميريام والغيرة ما تزال عارية، كجرح مفتوح . . انتقلت نظرتها ببطء إلى السرير الذي كانت ميريام تستلقي عليه . . كانت عيناها مغمضتين، وشعرها الأشقر كليل لا حياة فيه .

نظرت أسينا إليها دهشة وشعرت بالشفقة عليها وبالحنان . . . لم تكن تريد أن تشعر بالشفقة عليها . . لقد كرهتا بعضهما بعضاً لمدة طويلة، لكنها لم

تستطع منع نفسها . . دنت خطوة منها، فانفتحت عينا ميريام الزرقاوان .

ـ أسينا .

وتحركت يدها، فتحركت ساقا أسينا وحدهما :

ـ اجلسي إذا أردت .

كان صوت ميريام صدى ضعيف لصوتها الفني الدافىء، وسارعت أسينا تطيعها .

عرفت أن عليها أن تتكلم، لكنها خرست، وجف حلقها . .

كسرت ميريام الصمت مرة أخرى :

ـ كيف حالك أسينا؟ قالت لي الممرضة إنهم سيسمحون لك بالخروج اليوم .

بدا أن ميريام تمارس جهداً كبيراً لتهمس، ووجدت أسينا صوتها أخيراً :

ـ أجل . . ما زالت ذراعي تزعجني . . لكن ما عدا هذا أنا بخير . . لكن كيف تشعرين؟ قالوا لي إنك تتحسنين بثبات .

بدت ميريام فظيعة، وكأنها تموت ببطء . لا عجب إذن أن يمزق غارث نفسه .

ابتسمت ميريام بضعف : «أنا أفضل حالاً . . أفضل بكثير» .

لكن، وهي تتكلم، أغمضت عينيها وسحبت نفساً عميقاً وكأن بذل الجهد يتعبها .

قلقت أسينا : «لقد أتعبتك . . وأنا آسفة . . هل أطلب لك الممرضة؟ هل أحضر لك شيئاً؟» .

مدت ميريام يدها وأمسكت معصم أسينا :

ـ لا . . ابقي هنا . . يجب أن أكلمك . . لقد عنيت كل ما قلته في رسالتي . . نعم حاولت إخافتك متعمدة . . كنت أعرف أنك تخافين المرتفعات .

خرجت الكلمات الجريئة بسرعة، وضغطت أسينا على الأصابع التي تمسك بيدها مطمئنة :

ـ لا يهم . . صدقاً . . أفهم هذا .

تابعت ميريام بضعف :

ـ أحسست بالغيرة . . ما زلت . . ولكن ذلك دون شك سيزول .

هزت أسينا رأسها ، وأحست وجهها يتورّد . . هذا الموقف أسوأ بكثير مما توقعت . كانت كلمات ميريام تقطعها كالسكاكين . . لكن يجب أن ترد عليها .

ـ لا داعي للغيرة . . إن ما شعر به غارث تجاهي انتهى منذ زمن طويل . إنه يحبك أنت ميريام . . لقد جاء ليراني مرة واحدة منذ الحادثة . .

بدت الضحكة مذهلة وصادمة وهي تصدر عن الجسد الشاحب الضائع فوق السرير .

ـ حقاً حبيبتي . . أنت لاتصدقين هذا حقاً؟

رأت وجه أسينا وتنهدت ، بصوت خفيف :

ـ يا إلهي . . أنت أحمق من غارث . .

نظرت أسينا إلى ميريام بذهول ، وحاولت فهم الكلمات . . ماذا تعني ميريام؟ ألم يقل لها غارث إنه كان يحبها؟ كانت تتصارع مع نفسها حين انفتح الباب خلفها ، ووقف غارث هناك عيناه الزرقاوان مصدومتان وهما تحدقان إلى عينيها . . تفرست أسينا فيه ، إنه مريض! عيناه مظللتان بالأسود ، وعظام وجهه القوي تبرز بخطوط ناتئة . . أرادت أسينا أن تركض إليه ، وتضمه بين ذراعيها . . وأحست بالعذاب لاضطرارها إلى الجلوس دون حراك إلى جانب ميريام لأنها تعرف أنه لا يحق لها أن تلامسه .

كان عند الباب ينظر إليهما معاً بصمت والاحمرار يخضب خديه بلون قاتم . وكانت عيناه تتحركان ببطء من إحداهما إلى الأخرى .

تمتمت ميريام : «أدخل حبيبي ، وأقفل الباب وراءك» .

لكنه تردد ، ثم وكأنه اتخذ قراراً على الفور ، فتحرك :

ـ سأعود فيما بعد . . أنت وأسينا سترغبان في الكلام .

إنه لا يطيق أن يتواجد معها . . كان عذاباً لها أن تراه هكذا . . لكن

الأسوأ لو رحل .

قطع صوت ميريام أفكار أسينا بقوة :

ـ أتهرب مرة أخرى غارث؟

توقف غارث ، وازداد احمراره عمقاً ، ثم أدار نظرة تائهة إلى أسينا ، وقال معترضاً :

ـ حباً بالله ميريام . . ماذا تحاولين أن تفعلي؟

ـ أحاول أن أدفع بعض العقل إلى رأسك السميك .

جلست أسينا محنية الرأس ساكنة ، شاحبة . ماذا تقول ميريام ، ولماذا ينظر غارث إليها هكذا؟ الأمر غير مفهوم أبداً لها .

أغمضت ميريام عينيها ، وكأنها تعبت فجأة ثم عادت وفتحتهما لتنظر إلى غارث :

ـ أنت غبي حبيبي . . . كلاكما أحمق .

سحبت نفساً عميقاً وتمسكت أصابعها بالملاءة البيضاء .

ـ وربما أنا حمقاء أكثر منكما لمحاولتي مساعدتكما . لكنني مدينة لأسينا بشيء . . لقد حاولت إنقاذ حياتي ، وخاطرت بحياتها من أجلي . . . كان عملاً شجاعاً وأشك أن أفعل مثله يوماً .

تباطأ صوتها ، ثم توقف كلياً . . ران الصمت في الغرفة . . وأبقت أسينا رأسها منخفضاً لأنها عرفت أن غارث يراقبها ، وتصاعد التوتر داخلها حتى بدت كل عضلة في جسمها مشدودة متجمدة .

أخيراً عادت ميريام للكلام تقول لغارث :

ـ وأنا مدينة لك بشيء حبيبي . . إذا نجحت في عملي فالفضل يعود إليك . . لسوء الحظ ، لم يكن هذا يكفيني . . أردت كل شيء . . مسكين غارث كانت الأسابيع الأخيرة من التصوير جحيماً لك ، أليس كذلك؟ أنا أسفة . . كنت سافلة . . رأيت أنك منجذب إلى أسينا منذ أول يوم وصلت فيه .

حاولت أسينا الاحتجاج ، لكن ميريام تابعت :

ـ لقد حاولت خلق المشاكل بينكما منذ البداية . . ذلك الولد الذي عانق أسينا . . كنت أعرف أن هذا لم يعجبها . . رأيت أنها كانت تحاول مقاومته . . لكنني كنت مجنونة بالغيرة، بحيث كنت على استعداد لاستخدام أي سلاح لأفرق بينكما . . وعرفت أن هذه الحادثة ستفرقكما .

نظرت إلى طيف غارث الجامد، وأضافت همساً :

ـ أنت تفهم . . أليس كذلك حبيبي؟ رأيت كيف كنت تنظر إليها . . وعرفت ماذا تفعل بك الغيرة . . كنت تتمزق لو رأيتها تنظر إلى رجل آخر .

هذا كثير . . وأخذت أسينا ترتجف بعنف بحيث لم تعد تستطيع السيطرة على نفسها . . كانت ميريام تتكلم عنها وكأنها تمثال . . دفعت نفسها لتقف، ترفض الإصغاء أكثر من هذا :

ـ أرجوك، لا تتكلمي عن هذا ميريام، كان هذا في الماضي .

سحبت ميريام أنفاساً متعبة، ومدت يدها تمسك يد أسينا :

ـ هراء عزيزتي . . لأنني أظنك تحبين غارث .

صاحت أسينا تشد يدها منها : «أرجوك . . ميريام . . دعيني أذهب» .

ـ وغارث يحبك .

ـ أرجوك . .

ـ كان سيقول هذا لك بنفسه قبل انتهاء التصوير . . لكنني توسلت إليه ألا يفعل . . وكنت مدمرة . . وهددت أن أفسد اللقطة الأخيرة .

تكلمت باندفاع من يعرف أن قوته تخونه . .

فجأة اقترب غارث وأحست أسينا بجسده القوي يكاد يلامسها، وأنفاسه على خدها . . وتوقفت أنفاسها، وعصفت نبضاتها بجنون في معصمها وعنقها . هل أخطأت؟ أتقول ميريام الحقيقة؟

ـ أسينا .

صدمها مجرد لفظه لاسمها . . فقد خرجت نبرة صوته خشنة لشدة مشاعره .

ـ أرجوك . . أنا . .

كرر :

ـ أسينا . . يجب أن نتكلم .

أحست أسينا بقلبه يخفق بجنون قرب عظام ظهرها . . أيمكن أن يكون هذا صحيحاً؟ أيحبها كما قالت ميريام؟ أرادت أن تصدق هذا بكل يأس .

التفت ذراعه حولها، وهمس :

ـ هل ستستمعين إليّ . . . ؟ دعيني أقول لك ما هي مشاعري .

جمد لسانها في حلقها :

ـ أرجوك غارث . . أنا . .

ولم تستطع أن تكمل .

ـ استمعي، على الأقل استمعي . . الأمر صحيح أسينا . . أنا أحبك، ولا أعتقد أنني عرفت النوم منذ أبعدتني عنك . . . أكاد أجن . . ألن تعطيني شيئاً آمل به؟ قولي لي على الأقل إنك لا تكرهيني .

لم تع أسينا إنها استدارت بين ذراعيه، وأن عينيها الخضروين بدأتا تتفحصان بحثاً عن الحقيقة .

همست : «هل تقول لي الحقيقة غارث؟» .

أمسك وجهها بين كفيه :

ـ أحبك أسينا، أكثر مما حلمت يوماً .

ـ آه! غارث .

وأصبحت بين ذراعيه ووجهها في صدره . . ربما كان يجب أن تتركه ينتظر الرد . . لقد استسلمت له بسرعة من قبل، وربما تكون غبية لأنها ترتكب الغلطة ذاتها مرة أخرى . لكنه هذه المرة استسلم كذلك، قال لها إنه يحبها . . ولقد انتظرت طويلاً لتسمعه يقول هذا . . الآن تريد أن تصدق ما تسمع .

همست في قميصه : «وأنا أحبك أيضاً غارث» .

سحب نفساً قوياً، فيما ضربات قلبه تتسارع بجنون تحت أذنها . . ثم وضع يده تحت ذقنها، يرفعه إلى فوق . . ونظر إلى عينيها المذهولتين من بين

أهدابه السوداء.

ـ أنا سعيدة من أجلكما... والآن، هلاّ وجدتما مكاناً آخر لمثل هذا الحديث المثير المؤثر فأنا لا أستطيع أن أنام..

كانا قد نسيا وجود ميريام، لكنهما ارتدا كحالمين استيقظا من حلم سعيد.. كانت تبتسم لهما، لكنها بدت متعبة، شاحبة.

اشتدت ذراع غارث على كتفي أسينا:

ـ حبيبتي ميريام.. أنا أسف.. لا بد أنك مرهقة.. لكن.. شكراً لك.

أغمضت عينيها: «دعوني وشأني الآن.. تعال فيما بعد غارث.. إذا سمحت لك أسينا».

سارا معاً لفترة طويلة في حديقة المستشفى... كانت السماء زرقاء والريح الباردة تتلاعب بغصون الأشجار.. وأبقى غارث ذراعه على كتفي أسينا، يشدها إليه ورأسه محنيّ يحاول شرح سبب عدم ثقته بها.

ـ هذا عدا عن السبب الواضح في أنني كنت أغار من أي رجل يقترب منك.

ـ لم يكن هناك داع للغيرة.

بدا غريباً أن تقول له هذا.. فهي بنفسها كانت تمزقها الغيرة، بحيث أحست أنه هو الذي يجب أن يطمئنها.. ما عدا أن هذا لم يعد ضرورياً، والفضل لميريام.

قال غارث:

ـ أعرف هذا الآن، لكنني تعلمت ألا أثق بأحد وسأوفر عليك التفاصيل الطويلة.. لكن ببساطة، أمي كانت سافلة. كانت تحب الرجال، ومع أنها متزوجة كانت تتصرف على هواها.. لم تكن مخلصة على الدوام.. ولقد تقبل أبي هذا، لكن حين تركته لرجل آخر لم يستطع أن يتحمل، ومات وأنا في الحادية عشرة.. منذ ذلك الوقت لم أعد أثق بأية امرأة.

بدت الكلمات بطريقة ما أسوأ وهي تقال بصوت هادىء باتر. في هذه اللحظة اغرورقت عينا أسينا إشفاقاً على الرجل المستوحش المحبط، على الولد

الصغير الذي كبر قبل أوانه..

تمتم: «هل تسامحيني أسينا؟».

ـ بالتأكيد.. أعرف أنني تصرفت بشكل سيء في لقائنا الأول.. والواقع أنني استغرب أنك بقيت منجذباً إليّ بعد ما حدث.

ابتسم: «هل يجب أن أعترف أنني دعوت الله بتضرع أن يدفع هيوغ بك لنيل الدور.. وأحسست براحة كبيرة حين قدمت ذلك الاختبار الرائع.. عرفت أن ما أشعر به هو جنون، لكنني أردتك بيأس حتى في ذلك الوقت».

توقفا تحت شجرة سنديان عتيقة، استندت أسينا إلى جذعها.. ووضع غارث يديه على جانبي وجهها.. فتعلقت أسينا به مكبوتة الأنفاس، تعلقت به بشوق يفوق شوقه إليها.

كانت المشاعر في صوته تصيب قلبها: «أحبك.. أحبك.. تزوجيني أسينا.. أحبيني.. أريد أن أبقى دائماً معك».

ضحكت عالياً: «أجل!».

وطار شحرور كان يأكل من نبات الأرض، يغرد ويرفرف بصوت مرتفع.

ضحك غارث بدوره:

ـ إذا كنت مصممة على إخبار العالم كله، أعتقد أن من الأفضل أن يحدث هذا الزواج قريباً.. فما رأيك بالغد؟

ابتسمت: مستحيل.. لكن رائع، أوه غارث! لا أستطيع أن أصدق ما يحدث.

تمتم في شعرها:

ـ أشعر بالشيء عينه.. حين أبعدتني عنك بعد الحادثة لم أعرف ما الذي أصابني.. لماذا فعلت هذا؟ هل كنت شديدة الغضب مني حبيبتي؟

هزت رأسها:

ـ لم أكن غاضبة.. لكنني لم أصدق أنك تحبني، وظننت أنك تحب ميريام.

www.elromancia.com

ـ أيتها البلهاء الصغيرة . . ألم تري مشاعري نحوك؟

ـ لا أظن أنني كنت أرى شيئاً بوضوح . . لقد قال برايان إن الوقعة أثرت في عقلي ولا بد أنه أصاب بقوله .

ارتجفت قليلاً : «يفزعني أن أفكر أنه لولا ميريام لتركت المستشفى اليوم دون أن أراك مرة أخرى» .

ـ كنت سألحق بك أسينا . . كنت سأمهلك بضعة أسابيع لتستقري . . ثم كنت سأجيء وأراك . . ما كان من الممكن أن تهربي مني بسهولة يا حبي .

ـ لكننا مدينان لميريام بالكثير .

مسكينة ميريام . . لقد أحبت غارث ، وخسرته الآن .

ـ آه غارث! أحس بأسى شديد عليها .

ـ لا تقلقي حبيبتي . . ستشفى . . كانت تظن أنها تحبني ، ولكن المسألة أنها اعتادت علي . في الواقع أنها متزوجة لفكرة أن تكون ممثلة ناجحة . . إنها بحاجة إلى زوج جيد الطباع يقبل أن يبقى في الصورة الخلفية . . وأنا لن أكون هكذا أبداً . . ما إن تصبحي لي أسينا لورد فلن أتركك أبداً .

ابتسمت أسينا . . وهي كذلك لا تريد أن يكون هذا بطريقة مختلفة .

تمطت أسينا بتكاسل أمام المرآة الكاملة الطول تتأمل خطوط جسمها الأنيق من جانب . . ولاح فستان السهرة الأسود حول جسمها يلتصق بساقيها وهي تتحرك . . ثم ابتسمت باهتياج :

ـ كانت أمسية رائعة غارث . . وكنت على صواب بشأن ميريام . . كانت فعلاً في جوها المناسب هذا المساء . .

ـ لقد أحبت كل لحظة من الإعجاب والتصفيق .

كان مع ميريام ممثل شاب أنيق ، وعاملت غارث كصديق قديم .

أضافت : «سيحظى فيلم «محطم السفن» بنجاح مذهل» .

ابتسم غارث!

ـ بالطبع . . وماذا كنت تتوقعين غير هذا؟

ضحكت أسينا : «بإمكانك المزاح قدر ما تستطيع بشأن الأمر . . لكن

الفيلم رائع الإخراج ، ويستحق النجاح» .

تمتم ممازحاً من جديد : «يسعدني أنك تدركين مواهبي المتعددة» .

فك ربطة عنقه ، ورماها على السرير . ولحقت بها سترته . . وأخذت أسينا تراقبه باهتمام كامل تنظر إليه وهو يفكك ببطء أزرار قميصه ، ثم يخلعه عن كتفيه العريضتين . .

وبينما قميصه يلحق بسترته على السرير أشار إليها بيد واحدة :

ـ تعالي إلى هنا .

لامست شفتيها بلسانها بإثارة :

ـ لا أدري إذا كنت سأنفّذ ما تريد .

ـ إذن سأضطر إلى المجيء إليك! لن تهربي مني بسهولة .

ضحكت له : «وما الذي يجعلك تظن أنني أريد أن أهرب؟ أنا أنوي الالتصاق بك سيد ستون . . فستكون ثرياً جداً ومشهوراً» .

كشر : «أوتش!» .

ثم ضحك : «لو عرفت أنك تعنين هذا ، لضربتك بشدة» .

فجأة بدا الجد على أسينا :

ـ سأحبك حتى إن لم يكسب الفيلم قرشاً .

شدها إليه : «لا أظن أن هناك داعي للقلق . . فكما قلت ، سيكون الفيلم ناجحاً . . ولكنني لا أعرف كيف تمكنت من إنجازه . . لقد عذبتني حبيبتي ، ولم أحظ بلحظة سلام . . . ففي النهاية لم أعد أستطيع التفكير في أحد سواك» .

ابتسمت لعينيه : «وأنا كذلك» .

ـ هذا المساء شعرت بالغيرة وأنا أرى الفيلم . أتصدقين هذا؟ حين رأيت ستان يعانقك ، أحسست برغبة في لكمه .

ضمته إليها بشدة : «أنا مسرورة لأنك لم تفعل . . تصور عناوين الصحف غداً : المخرج يلكم البطل في ليلة عرض الفيلم . . وكان هذا سيفسد علينا ليلة رائعة . أنا لم أشكرك بعد على تدبير البطاقات من أجل روان ، ولا لطلبك من برايان وبام الجلوس معنا . . فأنا مدينة لهما كثيراً . . وأعرف أنهم جميعاً

www.elromancia.com

استمتعوا بالعرض الأول . . وأعتقد أن ستان قد افتتن بروان» .

برقت عينا غارث بمكر : لا ألومه . . إنها رائعة .

صاحت : «غارث ستون!» .

أخفض رأسه يقبلها :

ـ لا تقلقي حبي ، امرأة واحدة في حياتي تكفيني .

وجذبها لتلتصق به :

ـ وبمناسبة الحديث . .

أحست بضربات قلبه السريعة على صدرها . وتمتمت باستحياء :

ـ ظننتك متعباً .

نظر إليها . . وتمتم بخشونة :

ـ هذا صحيح . . أنا متعب . . ولهذا . . سأدخل الفراش .

تزوجا منذ ستة أشهر لكن أسينا ما زالت ترتجف كلما لامسها :

ـ هل نسيت أن علينا الاستيقاظ غداً باكراً . . . ستكون أمي بانتظارنا في المطار .

ـ لا تقلقي . . لن تفوتنا الطائرة .

وطافت عيناه ببشرتها الناعمة . . ولم يلمسها . . انتظرت أسينا وكتمت أنفاسها حتى تحركت يداه لتمحوا كل رغبة في الحديث من رأسها .

***